تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

فاس على موعد مع المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في السيرة النبوية

في موضوع: "السيرة النبوية الكاملة الشاملة قضاياها النظرية والمنهجية والتطبيقية"

أيام: 24 - 25 - 26 صفر 1438 / 24 - 25 - 26 نونبر 2016

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

3 دراهم

المحجة

نصف شهرية جامعة

www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com AlmahajjaJournal

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج | 16 صفر 1438هـ - 16 نونبر 2016م | العدد :467

مفهوم الوجه والوجهة في القرآن الكريم

ص 2

خادم التراث الإسلامي شعيب الأرنؤوط: سيرة عالم محقق مدقق

ص 9

التعليم بين الواقع والمأمول

ص 12

الجمهور ووظيفته في صناعة الحضارة وحمايتها

ص 7

قيم الجمال في الإسلام وأثرها في الحفاظ على البيئة

ص 11

افتتاحية

البيئة العالمية نحو تصور ومعالجة شموليتين

يعيش العالم اليوم على إيقاعات سريعة جدا نتيجة أخطاء حضارية وأزمة عالمية تاريخية في تدبير مشكلات البيئة. وكم من الهزات الخطيرة مرت بالإنسانية: احتلالات وحروب عالمية وإقليمية ومجاعات وهجرات وتهجيرات واستنزاف خيرات العالم وثرواته النباتية والحيوانية والمادية وما إلى ذلك.

غير أن التوجيه الإعلامي لم يكن في مستوى خطورة الحدث، إلى أن بدأت الصيحات والنذر تتعالى بعد تفاقم مشكلات البيئة الطبيعية وما أصبح يهددها من مخاطر التلوث، حيث طفق الجميع يشعر بأن المخاطر تشمل الطبيعة والإنسان.

وهنا أيضا بدأ الحديث عن التلوث ومخاطره التي وصلت إلى حد تهديد كوكب الأرض بالاحتباس الحراري وينذر بتغيرات مناخية كبيرة وخطيرة.

لكن العقلاء وذوي البصيرة النافذة يرون أن الإنسانية لم تعانِ من التلوث الصناعي والاحتباس الحراري وآثارهما إلا بعد معاناة من أنواع أخرى من التلوث أكثر خطرا:

- إن أمم الأرض وشعوبها تعاني من تلوث أخلاقي سببه فساد التدين، وفساد الاعتقاد في الله تعالى حيث أورث تلوثا فكريا تجلى في فوضى المرجعيات والتعصب المذهبي المقيت من غير قدرة على الحوار المقنع، ولا نية إلا نية التقوقع على الذات وتعنيف المخالف وتشويهه لمجرد الخلاف، الأمر الذي انتهى بالبشرية في السنين الأخيرة -وفي العالم الإسلامي خصوصا- إلى احتباس ديني خانق حيث سوق الإعلام والتوجهات المعادية للدين صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين، وغدا التوجه الرئيس للسياسات العالمية هو الإيقاع بالمسلمين في جرائم الإرهاب لاتخاذها ذريعة لمزيد من التطويق والإدانة.

- كما عانت البشرية طويلا من تلوث الاقتصاد العالمي بالمال الحرام القائم على نهب ثروات الشعوب، ونهب خيرات الأرض عن طريق الاستعمار وتدخل الأقوياء في نهب ثروات الفقراء والمستضعفين، فأدى ذلك إلى احتباس حراري خطير في العلاقات الدولية وفي العلاقات الاجتماعية بين الأقوياء والضعفاء.

- ولا يخفى أيضا ما تعانيه الشعوب من تلوث سياسي أفضى إلى احتباس سياسي في كثير من مناطق العالم، جعل كثيرا منها أشد التهابا وأكثر اشتعالا، فقدت بسببه كثير من شعوب الأرض حقها الطبيعي والمشروع في العيش الآمن وفي الكرامة والتعايش، وما ذلك إلا بسبب تغليب المصالح الذاتية للأقوياء وتلوث بيئة القرار السياسي الدولي بنزعات التسلط والقوة وغياب العدل والرحمة.

- وبسبب أنواع التلوث السابقة تلوثت البيئة الأخلاقية تلوثا لم يسبق للبشرية أن عرفت اجتماع كل أنواعه وبلاياه إلا في هذا العصر، فبدأنا نشاهد فعلا احتباسا أخلاقيا أفرز "تسونامي" التفسخ الأخلاقي والأمراض القاتلة، ففسدت البيئات الاجتماعية والأسرية بجرائم أفقدت الإنسان الأمان على الضروريات الخمس بله ما دونها.

وبناء عليه فالبشرية اليوم في حاجة إلى تصحيحين عاجلين وشاملين:

أولهما: تصحيح مفهوم البيئة تصحيحا يجعل منه مفهوما شاملا لكل أنواع البيئة الطبيعية والبشرية وما يتعلق بهما من أنواع جزئية للبيئات.

ثانيهما: تصحيح المعالجات الجزئية للمشكلات البيئية إلى معالجة شمولية لا تقتصر على الأبعاد القانونية والأمنية، بقدر ما تضيف إليها المعالجات الدينية والتربوية والفكرية التي يسهم فيها كل أبناء الأمة وقطاعاتها ومؤسساتها.

وإن العالم اليوم لفي حاجة ماسة إلى الاستفادة من التوجيهات والتشريعات التي جاء بها الإسلام، وإن الأمة الإسلامية اليوم لفي أمس الحاجة إلى إجادة وإحسان عرض ما منحها الله تعالى من أمانة الدين: تعلما وتعليما، تخلقا به ودعوة إليه.

وإن مشكلات البشرية اليوم في جميع المجالات المادية والمعنوية، الطبيعية والإنسانية لا تجد حلولها السليمة والآمنة إلا في دين الله تعالى الذي أنزله على سيدنا محمد ﷺ، وإن تراث الأمة الإسلامية الممتد في أكبر مساحة زمنية ومكانية من الكرة الأرضية ليملك ثروة كبيرة من الإمكانات والاجتهادات في حلول مشكلات البيئة بكل أنواعها.

فقد جعل الإسلام الكون وما فيه من خيرات مسخرا للإنسان، وجعله أمانة في يد الإنسان، ومستخلفا فيه وليس سيدا ولا مالكا. قال تعالى: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (لقمان: 20) لذلك فلا يجوز التصرف في هذا الملك (الطبيعة المادية) وفي البيئة الإنسانية إلا وفق الموازين الربانية والهدايات القرآنية، القائمة على الدعوة إلى العدل في كل شيء والإحسان في كل عمل لأن الكون وما فيه من مخلوقات وخيرات ما هو إلا مسجد كبير لعبادة الله تعالى وتسبيحه اختيارا في حق الإنسان كما تسبحه كل الخلائق اضطرارا، وإن الله تعالى أناط الخير ومفاتيح الرزق بقيام الإنسان بالعدل والإحسان والتسبيح. قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (الأعراف: 96)، ويقول جل وعلا أيضا: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ (النحل: 97).

وفي مجال الاجتماع البشري وجه القرآن الكريم الإنسان إلى إقامته على العدل والرحمة والإحسان فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: 90)

مفهوم الوجه والوجهة في القرآن الكريم بين الدلالة الحسية والمعنوية

✍ دة. كلثومة دخوش

اشتقاق الوجهة التي تتضمن معنى القصد من الوجه، ذلك أن "الوجه يطلق على وجه البدن ووجه النفس، وهو ما تتوجه إليه من المقاصد، ومنه (أسلمت وجهي لله...)" قاله رشيد رضا في تفسير المنار، ثم استدل على أن الوجه يراد به القلب أيضا ، قال: ومن الشواهد على استعمال الوجه بمعنى القلب حديث: «لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»، وفي رواية: قلوبكم. (رواه أحمد وأصحاب السنن).

قلت: ومن الشواهد على ما قاله أيضا قول إخوة يوسف لبعضهم بعضا: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم﴾.

وعليه، فالوجهة هي كل ما يستقبله الإنسان بوجهه،أي ببدنه أو بقلبه.

ولقد ورد من مشتقات مادة وجه في القرآن الكريم: الوجه والوجهة، ووردت الوجهة في موضع واحد من القرآن الكريم هو قوله سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 148)، ومن هذا الموضع نستفيد أن الوجهات متعددة، وأن استباق الخيرات محدد لخيرية الوجهة ودليل على كونها الوجهة الأفضل والأصوب كما قاله بعض المفسرين.

- وورد الوجه بمعنى قريب من الوجهة والمقصد في عدة آيات قرآنية، منه ما اقترن بالله تعالى مثل قوله سبحانه:

- ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 115).

- ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: 272).

ومنه ما ارتبط بالإنسان بمعنى وجه النفس كما سبق، أو الوجهة التي عليه أن يقصدها، وورد هنا بمعنيين متقابلين:

الأول: ورد فيه مرتبطا بالإكباب والانقلاب وصفا لمن يزيغ عن المقصد، من ذلك قوله سبحانه:

- ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الملك:22-23).

-وقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: 11).

والثاني: وهو الوجهة السليمة التي على الإنسان قصدها، وفيه اقترنت استعمالات الوجه بالتوجه والإقامة والإسلام، فجاءت بلفظ: توجيه الوجه، وإقامة الوجه، وإسلام الوجه، وتفصيل ذلك في ما يلي:

- **توجيه الوجه في قوله ﷻ:**

- ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 77-79).

- **إقامة الوجه في قوله تعالى:**

- ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: 29).

- ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يونس: 105).

- ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 29-30).

- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ (الروم: 41-44).

- **إسلام الوجه في قوله تعالى:**

- ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: 20-22).

- ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 111-112).

- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ (النساء: 124-126).

- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: 19-20).

إذا حاولنا ترتيب الاستعمال بحسب النزول سنحصل على النتيجة الموالية:

- ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: 29).

- ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يونس: 105).

- ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 79).

- ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: 22).

- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30).

- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ (الروم: 43-44).

- ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 112).

- ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: 20).

- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ (النساء: 129).

يلاحظ أن هناك تدرجا في ضمائم الوجهة ومحدداتها، بمعنى آخر، هناك تدرج في معاني المصطلحات المرتبطة بالوجهة، ففي القرآن المكي، باستثناء آية سورة لقمان، كان الحديث عن إقامة الوجه بارزا، أما توجيه الوجه إلى الله، فقد ورد حكاية عن إبراهيم عليه السلام، وهو قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 79).

فهو أسبق زمنيا من إقامة الوجه، وهو يختص بالعقيدة؛ لأن الأمر يتعلق ببحث إبراهيم عن الخالق للكون، ثم بعد رحلة البحث تلك ومعاناته في سبيل الوصول إلى الحقيقة، عزم على توجيه وجهه للذي فطره، فالأمر لا يتعدى جانب العقيدة في بداياتها الأولى المتمثلة في معرفة الخالق سبحانه.

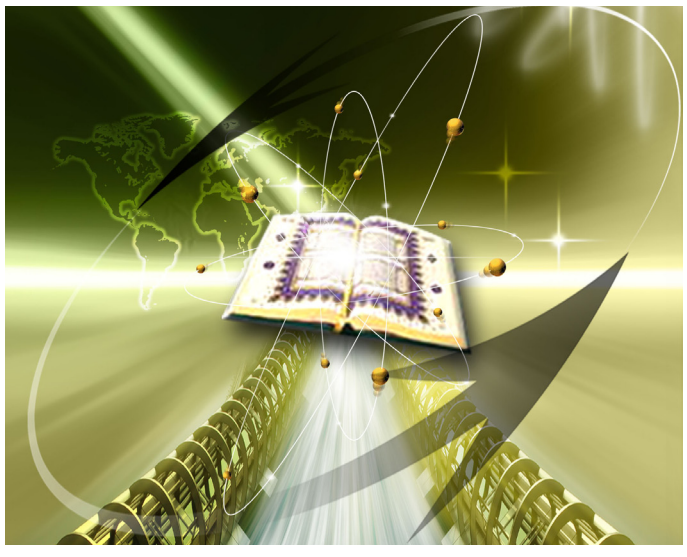

أما في الآيات التالية، فقد جاء الأمر بإقامة الوجه للدين، وهو وإن كان مختصا بالعقيدة، فقد تضمن معنى العبادة مع إضافة شرط التوحيد، بدليل مقابلته للشرك مع وصف "الحنيف" الدال على الاستقامة على طريق التوحيد والميل عن الشرك في مثل قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يونس: 105).

أما القرآن المدني فقد وردت فيه صيغة (إسلام الوجه) مع إضافة لفظ الإحسان في موضعين من بين ثلاثة، ونفس الصيغة وردت في القرآن المكي في موضع واحد هو الآية 22 من سورة لقمان، مع تسجيل الاختلاف الوارد في تعدية الإسلام بإلى على خلاف تعديته في جميع القرآن المدني باللام، وها هنا نكتة لطيفة تتمثل في أن الأمر في القرآن المكي كان يتعلق بالدعوة إلى التعرف على بداية الطريق الموصل إلى الحق، بينما في القرآن المدني أصبحت الدعوة متعلقة بسلوك هذا الطريق إلى نهايته مع الإحسان فيه، يدل على ذلك ما قاله الدارسون عن الفرق بين التعدية ب(إلى) والتعدية باللام، مثل قول الرازي إن "أسلم لله أعلى درجة ممن يسلم إلى الله؛ لأن إلى للغاية واللام للاختصاص، يقول القائل أسلمت وجهي إليك أي توجهت نحوك، وينبئ هذا عن عدم الوصول؛ لأن التوجه إلى الشيء قبل الوصول، وقوله أسلمت وجهي لك يفيد الاختصاص ولا ينبئ عن الغاية التي تدل على المسافة وقطعها للوصول".

أما عن معنى الإحسان فقد قال المفسرون إنه العمل الصالح، وبذلك ينتقل الأمر في القرآن المدني من العقيدة إلى العقيدة والشريعة مع الإحسان الذي هو أعلى المقامات التي يمكن أن يصل إليها المؤمن في طريق رجوعه إلى ربه، هذا الإحسان الذي هو موضوع الابتلاء وعليه مدار الفوز أو الخسران، ولأجل تمحيصه خلق الله الموت والحياة، وهذا ما يفسره قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ (الملك: 2).

وللإحسان مفهوم شامل لكل حركة الإنسان في الكون، وهو حسب التعريف النبوي، أن يتحرك الإنسان في الكون تحت إحساس بالرقابة الإلهية، تلك الرقابة التي دربه الله على استشعارها، بشكل مباشر في قصة بداية الخلق، الواردة في آيات القرآن الكريم، عندما خلق الله آدم فأمره بأشياء ونهاه عن أخرى، وعلمه كيف يجب عليه امتثال التعاليم والوقوف عند الحدود من خلال ذلك النموذج الذي من المفروض أن يُرَسخ عند الإنسان الغاية من خلقه، المتمثلة في عبادة الله بمفهوم العبادة الشامل، فدربه على استحضار الله تعالى في كل حركاته وسكناته، وهذا هو معنى الإحسان المطلوب، فالله تعالى هناك في الجنة كان يتولى الأمر والنهي والثواب والعقاب في كل اللحظة بعد اللحظة دون تأخير، بشكل يحيل على حقيقة الحساب التي يجب استحضارها في حياة المؤمن، كما يحيل على علاقة الإنسان السليمة بالكون، وعلى القصد الذي ينبغي أن يكون له من وراء تفاعله مع الكون في إطار علاقته بالعبادة التي تربطه برب الكون. هذه المعاني كلها يمكن ملاحظتها من خلال مجمل آيات ورود الوجهة، من ذلك أنها تربط الإنسان بالفطرة، وأنها تذكره بقصته مع الغواية، وبنعم الله التي سخرها له، وفي كل ذلك تأكيد على محددات الوجهة السليمة ودرجات الطريق الموصل إليها، بما يتيح له رجوعه بسلام إلى الجنة التي بدأت منها رحلته في هذا الكون. والله تعالى أعلم وأحكم.

تجليات مفهوم المسئولية والمحاسبة في الخطاب النبوي (2)

ذ. محمد البخاري

عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». (صحيح البخاري).

يبين الحديث تصور النبي ﷺ لمفهوم المسئولية والمحاسبة، التي تلهج بها كل الألسن في مختلف المناسبات؛ الثقافية، والسياسية، والإعلامية، دون أن يجد هذا اللغط صداه في واقعنا اليومي، إذ معظم الناس متذمرون من سوء تسيير مرافقهم العامة، مما يدفعنا إلى البحث عن سبب توجع المواطن المسلم من مؤسساته العمومية، والكشف عن البدائل الشرعية التي فعلت ربط المسئولية بالمحاسبة، مما يجعل الاعتماد عليها حلا عمليا لمعضلات الفساد الإداري في المجتمعات الإسلامية.

التأهيل المعرفي للفرد الراعي:

إن التأهيل التربوي كما سبق بيانه لا يؤتي أكله إلا إذا صاحبه تأهيل معرفي للفرد الراعي؛ إذ بهما يكتمل بناء النظام المؤسساتي للدولة الإسلامية، ويدل على ضرورة هذا المرتكز النصوص الشرعية العامة التي نصت على مدح العلم، وذم الجهل، وجعلت التمايز بين الحسن والقبيح قائما على الترقي في سلم العلم النافع الذي يربط الراعي بخالقه، ويمكنه من الوقوف عند حدوده، قال تعالى: ﴿فل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: 9).

فلا يعقل أن يكون هذا الاهتمام الكبير بالعلم في الإسلام مقصودا لذاته، بل غايته تحقيق العبودية لله في التعبد، وفي العمل؛ لهذا كان ﷺ يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما..» (سنن الترمذي).

إن أول المخاطبين بالتأهيل المعرفي هو الراعي الذي يتحمل أمانة الأمة، وواجب عليه أن يسعى إلى توظيف ما تعلمه من معارف ومهارات في خدمة مصالح الناس، وهذا لا يحصل بالشهادات العلمية التي تمكن من الولوج إلى العمل فقط، فتوظيف هذا العلم في تنمية المرافق العامة وتطويرها هو المقصود أصالة، وغير ذلك هو تبع له. ونتيجة غياب هذا القصد الأصلي؛ أننا ما زلنا نعاني من رداءة خدمات المرافق العامة وضعفها، ومن الأسباب العملية التي ساهمت في تفاقم هذا الوضع ما يلي:

الأول: ربط التأهيل المعرفي بالحصول على الوظيفة فقط، ثم يتحول الراعي إلى جاهل بالنوع؛ يحسن فقط القراءة والكتابة، ويحفظ بعض المعلومات التي تمكنه من أداء عمله مثل آلة مبرمجة، فلا ينتج أفكارا، ولا يبتكر أسلوبا، وقد حارب النبي ﷺ هذ الوضع بقوله: «منهومان لا يشبعان: منهوم في علم لا يشبع...» (المستدرك، للحاكم). لأن التكوين العلمي للراعي يمكنه من خدمة المواطنين ومساعدتهم على حل مشاكلهم، وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم، قال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة،... والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (صحيح مسلم).

الثاني: مرتبط بنظام الوظائف العامة الذي لا ينزل أصحاب الكفاءات العلمية منزلتهم؛ وذلك إما:

- بتشغيلهم في مجالات لا صلة لها بتكوينهم الدراسي؛ فيثبط ذلك من عزيمتهم، ويضعف مردودية المرافق العامة، وهذا انحراف عن قوله تعالى: ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ (يوسف: 55)، وعن منهج النبي ﷺ حيث كان يختار من أصحابه ذوي المهارات القتالية والتخطيط الحربي لقيادة الجيش، وأهل الخطابة والفصاحة للدفاع عن الدعوة، وأهل العلم لتبليغها، ويذكرهم بخوف الله، ويختبرهم كما قال لمعاذ بن جبل، لما أراد أن يبعثه إلى اليمن: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟» ويعمل برأي أهل الخبرة؛ حيث أمر بحفر الخندق في معركة الأحزاب تفعيلا لاقتراح سلمان الفارسي.

- بتعيين جهلة يديرون أمور الناس بغير علم، فَيَضِلُّون في تدبير مصالحهم، ويُضِلون غيرَهم بسوء أخلاقهم وقلة علمهم، فهم قدوة السوء يسعون في خراب المجتمع وإفساده؛ فيعتقد أصحاب الكفاءات أن العلم لا تأثير له، وإنما الأمر موكول إلى الرشوة والمحسوبية، فيركنون إلى الكسل والخمول، إلى أن يجدوا طريقا غير مشروع للظفر بوظيفة يتخذونها وكرا لإشاعة الفساد، وقد اعتبر النبي ﷺ ذلك أمارة على فساد حال الأمة حيث قال: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر لغير أهله، فانتظر الساعة» (صحيح البخاري).

ومن أجل القيام بالمسئولية على أكملها، حارب الإسلام المحسوبية والرشوة في التوظيف؛ فقال ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم» (المستدرك للحاكم).

فالتأهيل المعرفي ركن أساس لتطوير المصالح العامة للمسلمين، كما يجنبنا استيراد الأنظمة والتجهيزات الإدارية من الغرب؛ لأن ذلك يهدد وجود المسلمين واستقلالهم من زاويتين:

الأولى: يجعلنا أمة تعتمد على ما تنتجه الأمم الغربية للاستفادة منه والعمل به؛ وقد حث الإسلام على الاجتهاد والتجديد، وجعل المجتهد مأجورا على اجتهاده وإن أخطأ؛ تشجيعا للبحث العلمي، وتثمينا للابتكار والإبداع الفردي.

الثانية: يجعلنا أمة غير محصنة إداريا؛ بحيث يمكن اختراق أنظمتها ومعرفة أسرارها بكل سهولة ويسر؛ ما دامت تعتمد على أجهزة تم تصنيعها من طرف أناس لا ثقة فيهم لعدم ارتباطهم بالله عقيدة وسلوكا، قال تعالى: ﴿لا يتخذ المومنون الكافرين أولياء من دون المومنين﴾ (آل عمران: 28).

ثالثا: الإجراءات العملية لربط المسئولية بالمحاسبة:

اعتمد الإسلام تدابير عملية قادرة على إصلاح وتحسين خدمات المرافق العامة إذا ما تم تفعيلها على أحسن وجه، ومنها:

1 - الرقابة الذاتية للراعي:

وهي إجراء وقائي يعتمد على عقيدة المسلم وإيمانه الصادق، قال تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ (النساء،1). وقال تعالى: ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ (البروج: 9).

إن التفريط في العمل بأي وجه كان هو أكل للسحت، واعتداء على أموال المسلمين وحقوقهم، قال ﷺ: «من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطا، فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة» (صحيح مسلم). بل إن ما يأخذه الراعي من هدايا بسبب واجب قام به يعد خيانة للأمانة، قال ﷺ: «هدايا العمال غلول» (مسند أحمد).

إن كثيرا من المسئولين يحاولون تبرير تقصيرهم في الواجب، أو اعتدائهم على مصالح الناس بحجج واهية تعتمد الخدع والتزوير، ولن تنفعهم حججهم تلك مع الله الذي يعلم ما في الصدور، فالحلال بين، والحرام بين، وليتق المسلم الشبهات، قال ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» (صحيح مسلم).

2 - الرقابة الخارجية على الراعي:

هذه الرقابة ترتبط بتفعيل الأحكام الزجرية التي شرعها الله تعالى لمحاربة الفساد، وخيانة الأمانة، وهي نوعان:

- رقابة القيادة:

يقوم بها القائد العام حسب التدرج في سلم الوظيفة، مصداقا لقوله ﷺ: «والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (صحيح البخاري). وكان ﷺ يراقب عماله رغم أنهم أشد الناس خوفا من الله تعالى، والحكمة من ذلك تربية الصحابة على محاسبة كل من يتقلد أمور المسلمين مهما علا شأنه وعظم أمره، فقد استعمل ﷺ رجلا من الأزد على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، قال: «فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر يهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تَيْعَر» (صحيح البخاري). فالنبي ﷺ بهذا الحديث فضح كل الأساليب غير الشرعية التي يتوصل بها الراعي لأكل المال العام بغير حق، وبين مصيره يوم القيامة، كما دل الحديث على وجوب انتزاعه من آخذه وصرفه في مصالح عموم المسلمين.

- رقابة الحسبة:

هي ولاية شرعية قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وهي خاصة ذات طابع رسمي يكلف بها أهل العلم والعدل، لمراقبة أحوال الناس ومصالحهم، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (آل عمران: 104). وقوله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره..» (صحيح مسلم).

وهي بهذا المفهوم تضمن للمجتمع كرامته، وتحميه من مظاهر الفساد والانحلال وفق ضوابط شرعية، تمنع المحتسب من التدخل في الحريات الفردية للناس بمفهومها الشرعي؛ كالتجسس عليهم، وتتبع عوراتهم، وتركز على المنكر الظاهر المتفق على كونه منكرا يخالف شرع الله، وينتهك حقوق الناس؛ لأن زجر المفسد ومحاربة المجرم دليل على حياة الأمة ووجودها، والسكوت عن الفساد والتشجيع عليه علامة على هلاكها وتخلفها.

وقد فعّل النبي ﷺ نظام الحسبة بنفسه قولًا وعملًا؛ فقد مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني» (صحيح مسلم).

وهناك الحسبة التطوعية التي يمارسها عامة المسلمين، مصداقا لقوله ﷺ: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه» (مسند أحمد). إن ممارسة العامة للحسبة؛ يتم عن طريق التبليغ بأهل الفساد للسلطات المختصة لمحاسبتهم وردعهم وفق قواعد الشرع، وهذه مهمة وسائل الإعلام الصادقة مع الله، وهيئات المجتمع المدني، وأئمة المساجد، والخطباء، والوعاظ، وغيرهم من أهل التقوى والصلاح، فالنصح واجب على المسلمين إلى قيام الساعة.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 60 درهم

■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس - المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الالكتروني: www.almahajjafes.net
البريد الالكتروني: almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة: حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف: 0535931113
الناسوخ: 0535944454
الإيداع القانوني: 1994-61
رقم الصحافة: 91/11
الترقيم الدولي: 3627-1113
الطبع: إكوبرانت
التوزيع: سابريس

مختارات من أقوال حكيم الأمة الخالدة

ذ. أحمد حسني

أبو الدرداء من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم و"الدرداء" اسم ابنته، فاشتهر بكنيته هذه، أما اسمه فهو عويمر بن قيس الأنصاري الخزرجي، وقيل عويمر بن عامر، وكان تاجرا بالمدينة ولما أسلم تفرغ للعلم والعبادة، لقد تأخر إسلامه، فشهد غزوة أحد مع رسول الله ﷺ، وقال في حقه «نعم الفارس عويمر»، وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي.

وأبو الدرداء من الذين جمعوا القرآن الكريم حفظا على عهد رسول الله ﷺ، ومن الذين كانوا يفتون على عهده ﷺ.

توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 32هـ بدمشق وعمره 72 سنة، وقد روى عن رسول الله ﷺ 176 حديثا.

من أقواله رضي الله عنه: "اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم".

كان أبو الدرداء كثير التأمل والتفكر. قيل لأم الدرداء ما كان أكثر عمل أبي الدرداء؟. فقالت: كان عمله التفكر والاعتبار" فكان رضي الله عنه يتأمل كل شيء، ويأخذ العبرة من كل شيء، ويعطى موعظته عند كل شيء.

مما يحكى عنه أن رجلا قال له: يا أبا الدرداء مالكم معشر القراء أجبن الناس، وأبخل إذا سئلتم، وأعظم لقما إذا أكلتم؟ فأعرض عنه ولم يجبه، فبلغت المسألة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عنها، فقال أبو الدرداء: يا عمر وهل كل ما سمعناه من الناس نأخذهم به؟ فانطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الرجل الذي قال لأبي الدرداء ما قال، فأخذه عمر بثوبه حتى كاد يخنقه، وقاده إلى رسول الله ﷺ فقال الرجل: إنما كنا نخوض ونلعب فتلا عليه رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿فل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ (التوبة: 65).

دخل أبو الدرداء المسجد ذات ليلة فسمع رجلا ساجدا وهو يقول: "اللهم إني خائف مستجير فأجرني من عذابك، وسائل فقير فارزقني من فضلك، لا قوة لي فانتصر، ولكن مذنب مستغفر" فأصبح أبو الدرداء يعلمهن أصحابه إعجابا بهن، وهكذا كان أبو الدرداء يفكر في كل شيء، ويقف عند كل شيء، ويأخذ العبرة من كل شيء، وهذا شأن الحكيم، كان أبو الدرداء من أولئك الحكماء الذين فهموا الحياة فهما صحيحا، فكان بفهمه وعقله وعلمه وعمله أقدر على تعاطي الحكمة، فسماه الرسول ﷺ: «حكيم أمتي عويمر»، (الطبراني).

كان الخير عنده في كلمتين اثنتين: الحلم والعلم. وهو القائل "ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يعظم حلمك، ويكثر علمك، وأن تباري الناس في عبادة ربك، فإذا أحسنت حمدته، وإذا أسأت استغفرته، ولا تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ولا شيئا من الشر أن تتقيه".

كانت حياة أبي الدرداء -حكيم الأمة- أسلوبا ومثلا. فأما الأسلوب فكان ثورة عارمة على كل من يخالف المبادئ والقيم التي استمدها من عظيم العظماء محمد رسول الله ﷺ، وأما المثل فكان لا يترك آية زاجرة أو ناهية إلا أخذ بفرضيتها، وكان يقول: "أخشى ما أخشاه على الأمة زلة العالم وجدال منافق بالقرآن".

عن قيس بن كثير قال: "قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق، فقال له أبو الدرداء: ما أقدمك يا أخي؟ قال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ. قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث، قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة... الحديث» مسلم.

كان أبو الدرداء يقول: "لن تكون عالما حتى تكون متعلما، ولن تكون متعلما حتى تكون لما علمت عاملا، وإن أخوف ما أخاف إذا وقفت يوم الحساب أن يقال لي: ما عملت بما علمت؟"

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل العبرة والاعتبار، ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (ق: 37).

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين: وقفة تأمل في مظاهر الرحمة النبوية

هذه وقفة خفيفة، ولمحة طريفة، في ظلال هذه الآية الوارفة، وشربة من معينها الصافي، واقتباسات من أنوارها المشرقة، تتضح بها المحجة للباحث عن الحقيقة، الراغب في سلوك سبيل الحقيقة، فتكون له بها عند الله الحجة، ويسلم من الغرق في اللجة، وقفة تأمل في تجليات رحمة خاتم المرسلين، ورصد لبركتها على الخلق أجمعين.

يقول الله تعالى مخاطبا نبيه الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فالرسول الكريم ﷺ، بعث رحمة للخلق أجمعين، سواء من آمن به وصدقه، أو كفر به وجحد وعانده، يقول مقاتل بن سليمان (ت 150) رحمه الله في تفسيره: "للعالمين" يعني للإنس والجن، فمن تبع محمدا ﷺ على دينه فهو له رحمة، ومن لم يتبعه على دينه صرف عنهم البلاء ما كان بين أظهرهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.

ويحكي الطبري خلاف أهل التأويل في الآية هل المراد بها جميع العالم الذي أرسل إليهم محمد ﷺ، أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أهل الإيمان خاصة؟ فيروي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والذل» فالآية حسب فهم ابن عباس ترجمان القرآن تعم الناس كلهم مؤمنهم وكافرهم، ويذكر الطبري القول الثاني قائلا: وقال آخرون: "بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر". ثم يبين رأيه في الآية مع بيان وجه الرحمة كما تقدم عند مقاتل، فيقول: "وأولى القولين في ذلك بالصواب: القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء به من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قلبه".

ويضيف السمرقندي (ت 373) رحمه الله لفتة أخرى في الآية فيقول: "للعالمين: لجميع الخلق؛ لأن الناس كانوا ثلاثة أصناف، مؤمن وكافر ومنافق، وكان رحمة للمؤمنين حيث هداهم طريق الجنة، ورحمة للمنافقين حيث أمنوا القتل، ورحمة للكافرين بتأخير العذاب" فأضاف قسما ثالثا من أصناف الناس ممن تشملهم الرحمة النبوية، ويدخلون في عموم الآية الكريمة.

وقد استقصى الإمام ابن القيم (ت751) رحمه الله أحوال العالمين في علاقاتهم بالنبي ﷺ مبينا وجه الرحمة التي تصيب كل صنف، فقال: "أصح القولين في الآية أنها على عمومها... وأن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، أما أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه المحاربون له؛ فالذين عجل قتلهم؛ موتهم خير لهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء، فتعجيل موتهم خير من طول أعمارهم في الكفر، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له، وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان بالله حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها، وأما الأمم النائية فإن الله رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفعُ برسالته".

ومن خلال هذه الجولة القصيرة في تفسير هذه الآية الكريمة، يتبين بوضوح وجلاء تجليات رحمة النبي الذي بعث رحمة للعالمين، وتزداد مظاهر رحمته وضوحا أكثر من خلال النماذج التالية من سيرته العطرة:

النموذج الأول: موقفه من أهل مكة عام الفتح.

لا يخفى على أحد كم لاقى النبي ﷺ من تكذيب قومه وعنادهم وحصارهم له، حتى أخرجوه من مكة موطنه، وتآمروا على قتله، وشجعوا بالجوائز التحفيزية لمقتفي أثره، واستمروا في حربه لسنوات، وحزبوا ضده الأحزاب، وقتلوا له الأتباع والأصحاب، ومع ذلك فلما مكنه الله منهم يوم الفتح، ووقفوا بين يديه خائفين وجلين ترتعد فرائسهم، وتهتز نفوسهم، فرقا وإشفاقا، رأف بهم، وعفا عن إساءتهم، وقابل الإساءة بالإحسان، والكفر بالامتنان، في مشهد لم ولن يعرف التاريخ له نظيرا، يقول الإمام القاضي عياض (ت 544) رحمه الله واصفا هذا المشهد العظيم: "الحديث عن حلمه ﷺ وصبره، وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه، وحسبك ما ذكرناه، مما في الصحيح والمصنفات الثابتة، إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين، من صبره على مقاساة قريش، وأذى الجاهلية، ومصابرة الشدائد الصعبة معهم، إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم، وإبادة خضرائهم، فما زاد على أن عفا وصفح: وقال: «ما تقولون أني فاعل بكم»؟ قالوا: خيرا.. أخ كريم، وابن أخ كريم. فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء». فأي رحمة أسمى من هذه؟ وأي نبل أعظم من هذا؟ إنه النبي الكريم الذي قال فيه ربنا سبحانه: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم﴾.

ويرحم الله الشهيد سيد قطب إذ يقول: "وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجات إلى حس هذه الرحمة ونداها، وهي قلقة حائرة شاردة في متاهات المادية، وجحيم الحروب، وجفاف الأرواح والقلوب".

عبد الصمد احسيسن

المرء على دين خليله

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره... أما بعد:

عباد الله؛ اعلموا أن الله خلق الإنسان مطبوعًا على الافتقار إلى مخالطة جنسه، راغبًا في مصاحبة من توافق مع عقله ونفسه. فجاءت شريعة رب العالمين هادية للإنسان إلى سبيل اختيار من يصلح للمخالطة والمصاحبة، فحثت على صحبة الأخيار، ونهت عن صحبة أهل المعاصي والأشرار، فقد جاء عن النبي المختار ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه أحمد في مسنده (8065)، وسنده لا بأس به).

أيها المؤمنون إذا كان دين المرء يحدده الصديق، كما جاء في الحديث، فكيف نستهين بالصداقة والصديق؟

لقد تبين من الواقع المعيش أن معظم الشباب اختاروا طريقة عيشهم ونوع لباسهم وشكل قص شعرهم من خلال أصدقائهم، بل إننا نجد الواحد منهم يلبس ما لا يحب ويأكل ما لا يشتهيه فقط لمسايرة الموضى التي يعيش فيها أصدقاؤه، كما أن كثيرا من المثقفين اختاروا حياة الكفر والإلحاد، والاستهزاء بالدين والمقدسات ليس عن قناعة واختيار إنما إرضاء لمجموعاتهم وصحبتهم، وحتى المقتنع منهم ما أقنعه إلا خليله وصديقه.

فها هو عقبة بن أبي معيط في زمن الرسول ﷺ يختار دين الكفر بسبب صديقه أبي بن خلف.

فقد كان "أُبي بن خلف" و"عقبة بن أبي معيط"، صديقين متصافيين، وكانا من أكثر الناس إيذاءً لرسول الله ﷺ. وفي يوم، أراد عقبة بن أبي معيط أن يجلس إلى رسول الله ﷺ بين الصحابة، ليسمع منه وينظر، ولا يزال عقبة يجلس في مجالس النفحات النبوية، حتى أوشك على الدخول في الإسلام، وظن الناس أن بشاشة الإيمان في طريقها إلى قلب "عقبة"؛ فتكسب الدعوة قائدًا من قادات مكة.

وترامت الأخبار إلى مسامع صديق العُمر"أبي"، فأتى "عقبة" فقال له في حسم وحزم:

"ألم يبلغني أنك جالست محمدًا وسمعتَ منه؟! وجهي من وجهك حرام أن أكلمك (واستغلظ من اليمين) إن أنت جلستَ إليه أو سمعتَ منه، أو لم تأته فتتفل في وجهه" (ابن هشام 361/1).

فغرق "عقبة" لحظات سريعة في صراع نفسي، بين طريق محمد ﷺ وطريق أُبي بن خلف. وكان لزامًا عليه الاختيار، إما الإسلام ويخسر الصديق، وإما الصديق ويخسر الإسلام، ولكن شيطان عقبة قد أرداه خسيرًا خسيئاً، فذهب إلى حضرة رسول الله ﷺ بوجه حديد وبقلب عتيد، وخُلق عنيد، ونفس خائبة مهزومة أمام سلطان الصداقة النكدة، فبزق عدو الله في أكرم وجه سجد لله، وأطهر وجه طلعت عليه الشمس في تاريخها قاطبة، وزاد الفاجر في جرمه، فسب رسول الله سبًا شنيعًا، في مجلس الطهر والإيمان بين ظهراني المؤمنين المستضعفين.

ولما جُرِحت مشاعر النبي الكريم؛ إثر هذا الموقف المحرج جدًا، والإهانة الوقحة، من رجل يعده بعض الناس من جلساء محمد، أراد الله ﷻ أن يطيب بوجدان الرسول المكسور، وأن يمسح على جراحات نفسه بيد حانيَة، مع كلمات مواسية، فيجلو القلب المكلوم، فتزول آثار الألفاظ النابية والأفعال الجارحة، فقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: 26-28). (انظر تفاصيل القصة في السيرة الحلبية 374/2).

وفي مقابل هذا نجد كثيرا من الناس كانت الأهواء والشهوات قد أخذت بهم إلى أعماق الضلال والطغيان، فما أن تعرفوا على بعض الصالحين الأخيار إلا وانقلبت حياتهم إلى نور الهداية والإيمان، فأصبحوا على دربهم ودينهم، فها هو الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأتي بخمسة من أصحابه مباشرة بعد دخوله في الإسلام فينتقلون من دين الأجداد والأسلاف إلى دين صديقهم وخليلهم، فيسلمون بين يدي النبي ﷺ، فأصبحوا من العشرة المبشرين بالجنة، وهم: عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم أجمعين.

وفي هذا يقول عدي بن زيدٍ:

عن المرءِ لا تسألْ، وسَلْ عن قرينه
فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي
إذا كنتَ في قوم فصاحِبْ خيارهم
ولا تَصْحَبِ الأردى؛ فتردى مع الرَّدِي
(أدب الدنيا والدين للماوردي ص 205).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ما شاه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه.

عباد الله فإياكم ومصاحبة الأشرار فيسرقوا دينكم ويدمروا أخلاقكم، وعليكم بالأخيار ومجالس الصالحين لتتزودوا منهم في دنياكم وأخراكم، وقد قال رسول الله ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه. وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة» (أخرجه البخاري في صحيحه: 2/ 741، برقم: 1995، ومسلم في صحيحه: 4/ 2026، برقم: 2628).

فاللهم اجعلنا ممن يمتثل أمرك ويجالس أولياءك، ويوالي من ولاك ويعادي من عاداك برحمتك يا أرحم الراحمين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما بعد:

فيا عباد الله: إن الشيطان لابن آدم بالمرصاد، وإن أعوانه من الإنس والجن مجندون لغواية الإنسان، فيعملون على ذلك ما كان بالإمكان، وإن من أعظم وسائلهم في ذلك إنشاء مجموعات للشباب، سواء في الواقع باسم النوادي أو ملاهي الوئام، أو في وسائل الإعلام، باسم التواصل الاجتماعي في الفايسبوك أو الواتساب، تحت مسميات تجذب العقول والأفهام، لتصنع عقول شبابنا على أعينهم وتكون تحت رعايتهم.

فعلى كل غيور على دينه ومجتمعه أن يسعى إلى تكثيف الجهود لتكوين البيئة الصالحة التي تكون ملجأ المؤمنين والمؤمنات سواء في الواقع أو عبر وسائل الاتصال، فكم من كافر أو ضال اهتدى بسبب أصدقائه في الإنترنيت عبر المواقع الدعوية التي يسهر عليها عباد الله الصالحين.

أيها المؤمنون إذا أردتم أن تعرفوا صفات الصديق الذي أمرنا ربنا بملازمته، وصفات الذي نهانا الله عن صحبته؛ فاسمعوا إلى وصية الله لنبيه وسائر أمته حيث قال في محكم التنزيل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: 28).

يقول ابن كثير رحمه الله: "أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء. وقوله: وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعا ولا محبا لطريقته ولا تغبطه بما هو فيه". (تفسير ابن كثير: 3/ 110).

فاللهم وفقنا لاختيار الرفقة الصالحة واجعلنا من الصالحين، واجعلنا سببا لهداية الفاسقين واحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من مكر الفجار وطوارق الليل والنهار، إلا طارقا يطرق بخير يا عزيز يا غفار.

ذ. شفيق لعرج

إشراقة

ذ. عبد الحميد صدوق

البيان لحكم حلاقة الرأس عند الشبان

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن القزع». متفق عليه.

جاء في الصحاح: القزع: أن يحلق رأس الصبي في مواضع، ويترك الشعر متفرقا. وقيل: قزع رأسه تقزيعا: إذا حلق الشعر، وبقيت منه بقايا نواحي رأسه، و"القزع" بفتح القاف والزاي جمع قزعة وهي القطعة من السحاب. وقد فسر نافع رضي الله عنه القزع فقال: هو حلق بعض رأس الصبي وترك بعضه.

وقال النووي رضي الله عنه: وقد أجمعوا على كراهته إلا للمداواة وهي كراهة تنزيه، وكراهة مالك رضي الله عنه في الغلام والجارية على حد سواء.

واختلفوا في علة النهي فقيل: لما فيه من تشويه الخلقة، وقيل لأنه من زي اليهود فقد أخرج أبو داوود أن النبي ﷺ قال: «إنه زي اليهود»، فنهى الصبيان عن التقزع لأنه زي اليهود، فتكون المخالفة لأهل الشرك عامة في الكبار والصغار.

وعنه قال: رأى رسول الله ﷺ صبيا قد حلق بعض شعر رأسه وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله» (رواه أبو داوود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم).

قال العلماء: فيه أن حلق بعض الرأس وترك بعضه على أي شكل كان من قبل ودبر منهي عنه، وأن الجائز في حق الصبيان أن تحلق رؤوسهم كلها أو بترك كلها. انتهى.

وعن علي رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها. رواه النسائي.

قال أبو عيسى الترمذي رضي الله عنه: والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون على المرأة حلقا، ويرون أن عليها التقصير. أي في الحج.

ونهى المرأة عن حلق رأسها لكونه مثلة، وقد كانت المرأة في الجاهلية تحلق رأسها عند المصيبة تسخطا على القدر (1)، لكن إذا كان حلق بعض الرأس يرغب فيه الزوج، ويرى أن به يكمل جمال زوجته فجائز، فهذا لايدخل في المثلة المنهي عنها بل هو من جملة الزينة المأمور بها في حق النساء.

وقد روى ابن بطال عن شعبة، عن أبي بكر بن حفص، عن أبي سلمة قال: «كان أزواج النبي ﷺ يأخذن من شعورهن حتى يدعنه كهيأة الوفرة».

وقال ابن بطال: وأما إذا احتاجت المرأة إلى حلق رأسها فذلك غير حرام وهي فيه كالرجل سواء.

---

1 - وفي الحديث أن رسول الله ﷺ: «برئ من الحالقة والصالقة والشاقة» رواه البخاري.

من معالم المنهج الاجتهادي عند العلامة محمد التاويل (الأخيرة):

فقه الواقع:

وهو ما عرفه الفقهاء قديما وجعلوه مما يلزم المجتهد في استنباط الأحكام والإفتاء في النوازل الفقهية، وهو التفقه في حال الزمان وأهله، أو معرفة أحوال الناس وأعرافهم(1).

هذا العنصر أي الواقعيّة في النظر إلى المسائل الفقهيّة، يستحضره الشيخ رحمه الله لكن دون إفراط ولا تفريط، فلا هو ممن جعله أصل كل شيء، وحكمه في كل شيء وعلى كل شيء، ولا ممن جاء حكمه مجرد رد فعل في مقابلة غلو الطرف الأول فتسرع في الحكم وأقصى فقه الواقع.

وإن كتب الشيخ رحمه الله كلها ما هي إلا إجابة عن الأسئلة التي يفرزها الواقع وتتعالى الأصوات بين من يحاول لي أعناق الشريعة لتلائم الواقع، وبين من يلجأ إلى العنف اللفظي والتكفير دون قيد أو شرط، فتعم الفوضى وتتبادل الاتهامات، ليأتي الشيخ رحمه الله بكثرة مصادره وتنوعها والنقل المباشر عنها، فيفصح عن الحكم ويبين الحكمة، معتمدا على الأدلة النقلية مستعملا الأدلة العقلية والمنطقية.

ولن نمثل لهذا الموضوع فكتبه رحمه الله أجمعها ما هي إلا كتابات لمحاولة حمل الواقع على الشريعة وخضوعها لها وليس العكس.

البعد الإصلاحي والاجتماعي:

يستحسن التذكير بأن هذه ميزة من مميزات المذهب المالكي الذي يراعي "البعد الاجتماعي والمصلحي في توجهاته وأحكامه بفضل اتخاذه المصالح المرسلة والعادات الحسنة أصلا من أصوله الفقهية، ومصدرا من مصادره التشريعية التي بنى عليها فقهه، وأرسى عليها قواعد مذهبه واستمد منها آراءه وأحكامه..."(2).

والشيخ رحمه الله كان يجسد هذا البعد في اجتهاداته وأحكامه، فكان منهجه بيان ما يحقق للأمة مصالحها الدنيوية والأخروية، مبرزا حكم الشرع في استنباطاته وآرائه، ملاحظا ما اعتبره الشارع فعلا مصلحة لا ما يراه عموم الناس ولو أدى به الأمر إلى مخالفة جل العلماء المعاصرين.

قال رحمه الله مراعيا البعد الذي أشرنا إليه في مخالفة تحديد سن الزواج للمصلحة العامة ومصلحة الزوجين: "وأما مخالفته للمصلحة ومصلحة الزوجين بصفة خاصة: فإن من مصلحة الذكر والأنثى معا الارتباط بنكاح شرعي والمبادرة إليه، وقاية لهما من الوقوع في المحظور، وحماية للمجتمع من انتشار الفساد السري والعلني، والحد من آثاره السيئة وما يترتب عليه من مشاكل اجتماعية وصحية وإنسانية، تتمثل في جرائم وأمراض ولقطاء... وتحديد سن الزواج ورفعه إلى ثمانية عشر أو عشرين عاما كما تطالب به بعض الجمعيات يخالف هذه المصالح، ويعرض المجتمع إلى سوق للعوانس يبحثن عن الحرام في كل مكان، ويسعين إليه بكل الطرق والوسائل!!."(3).

وقال في موضوع تعدد الزوجات: "... شرعه الله تعالى رحمة للرجال والنساء والأمة، وتحقيقا لمصالحهم الدينية والدنيوية التي يمكن الإشارة إلى بعضها في النقط التالية:

1 - إتاحة فرصة الزواج في وجوه كثير من الفتيات والأرامل، والإسهام في امتصاص الفائض المهول في تعداد النساء في المجتمعات التي يفوق فيها تعداد النساء عدد الرجال، وهو السبيل الأمثل لإنقاذ ذلك الفائض من العنوسة المؤيسة، والترمل البائس المخلين بأنوثة المرأة وشرفها...

2 - الحد من انتشار الطلاق، والتقليل من أسبابه بإتاحة الفرصة للزوج بتجديد زوجته إذا رغب في ذلك طمعا في الولد أو تعلق قلبه بامرأة أخرى...

3 - إنه وقاية ناجعة من الزنا والفساد وحماية للمجتمع من انتشارهما وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة صحية واجتماعية واقتصادية، فإن التعدد يستجيب لرغبة الرجال الطبيعية التي لا يستطيعون مقاومتها والتحكم فيها،... فإن الزوجة تمر بفترات الحيض والحمل والنفاس والرضاع، وقد تمرض أو تكبر فلا يجد الزوج ما يطفئ شهوته وحاجته إلا الحرام، يؤكد هذا انتشار الفاحشة بشكل مهول كنتيجة لغياب التعدد والاستعاضة عنه بالخليلات وزائرات الفنادق وقناصات الطرق.

4 - المساهمة في تكثير سواد الأمة للمحافظة على قوتها العددية وعمارة الأرض وعبادة الله، وهو هدف من أهداف الإسلام من شرعية النكاح كما جاء في حديث: «تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم»(4)... وهو هدف قد يستخف به البعض... لكنه هدف تسعى كل الأمم إلى تحقيقه..."(5).

وقال رحمه الله في بيان الحكمة من منع المرأة من ولاية النكاح: "وأما منعها من ولاية النكاح فهي صيانة المرأة ودعم لها وحماية لها من الوقوع في خطأ يصعب عليها الخروج منه، فإن المرأة في الإسلام ممنوعة من مخالطة الرجال والاختلاط بهم ومعاشرتهم، سريعة الانجذاب إليهم والاغترار بمديحهم، قليلة الخبرة بهم، والزواج في الإسلام عقد لازم لا يحله إلا الموت أو الطلاق، والمرأة لا حق لها في الطلاق، فإذا أعطيت الحق في الزواج وحرية توليه دون ولي من أوليائها فربما وقعت في خطأ لا مخرج لها منه ولا ينفعها معه ندم، فكان من المصلحة حرمانها من هذه الحرية التي لا تجني منها إلا الحسرة والندم، وإسناد ذلك لوليها لأنه أعرف منها بالرجال وأحوالهم، ولا يألوا جهدا فيحسن الاختيار لها وحمايتها"(6).

> منهج الشيخ رحمه الله منهج متكامل ، فهو من جهة يعتمد على النقل الثابت ويوظفه بمختلف أنواعه ابتداء من النصوص القرآنية والنصوص الحديثية إلى أقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، وأقوال وترجيحات أعلام المذاهب الفقهية خاصة المذهب المالكي ؛ ومن جهة ثانية يوظف العقل والمنطق في مناقشة تلك النصوص معتمدا على اللغة كوسيلة للفهم والإفهام ، معملا القواعد الأصولية والفقهية في كل مراحل النظر والتقعيد ، مع إشارات إلى مقاصد الشرع في أحكامه وتشريعاته .

هذه بعض النماذج التي تبين حضور البعد الذي أشرنا إليه، وحري بمن يتصدون للكتابات السير على منوال الشيخ رحمه الله، فإن الاطلاع على حكمة الحكم يكون أدعى للقبول والاقتناع به.

خاتمة:

كانت هذه جولة في بعض كتب الشيخ رحمه الله، توصلت من خلالها إلى مجموعة من النتائج أسجلها فيما يلي:

■ التكاملية في معالجة القضايا الفقهية، فمنهج الشيخ رحمه الله منهج متكامل، فهو من جهة يعتمد على النقل الثابت ويوظفه بمختلف أنواعه ابتداء من النصوص القرآنية والنصوص الحديثية إلى أقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وأقوال وترجيحات أعلام المذاهب الفقهية خاصة المذهب المالكي؛ ومن جهة ثانية يوظف العقل والمنطق في مناقشة تلك النصوص معتمدا على اللغة كوسيلة للفهم والإفهام، معملا القواعد الأصولية والفقهية في كل مراحل النظر والتقعيد، مع إشارات إلى مقاصد الشرع في أحكامه وتشريعاته.

■ إن الشيخ رحمه الله كان وفيا لقواعد وأصول مذهبه (المذهب المالكي) سواء عند الاستنباط واستنطاق النصوص، أو عند الترجيح وتصحيح قول على آخر؛ وإذا خالف أحيانا إماما من الأئمة فإن ذلك بناء على إعمال قواعد وما أوصله إليه اجتهاده بناء على تلك القواعد.

■ إلمام الشيخ رحمه الله بالفقه الإسلامي عموما أي انفتاحه على المذاهب الفقهية الأخرى، واطلاعه الواسع على مسائل الخلاف فيها مع حفظ للفقه المالكي بفروعه وجزئياته.

■ اللمسة الواقعية التي سبغت كتب الشيخ، فهو لا يكتب من أجل الكتابة فقط؛ وإنما لمعالجة قضايا اجتماعية راهنة، وللرد على أقلام مأجورة تتصيد الفرصة لتلصق بهذه الشريعة شبهة من الشبه الواهية متى ما وجدت سبيلا إلى ذلك.

■ حاجة الأمة إلى كتابات من أمثال كتابات الشيخ رحمه الله، تؤصل للحكم وتقنع به من خلال بيان المصالح التي يحققها، وتقترح البديل لكي تخرج الأمة من بعض ما هي غارقة فيه من أنواع المشاكل الاجتماعية والمعاملات التي تتعارض مع ديننا الحنيف.

■ وأخيرا دعوتي إلى قراءات متكررة لكتب الشيخ رحمه الله، فهي كتب تجيب عن معظم الإشكالات التي تثار بين الحين والآخر.

رحمه الله تعالى على ما أفاد به وأجاد، وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

1 - مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية للدكتور فريد الأنصاري - رحمه الله - ص 135. مطبعة دار السلام، الطبعة الأولى 2009.

2 - خصائص المذهب المالكي ص 121.

3 - شذرات الذهب فيما جد في قضايا النكاح والطلاق والنسب تأليف العلامة الدكتور سيدي محمد التاويل ص 15-16، الطبعة الأولى 1431هـ 2010م. منشورات مكتبة السنة - هولندا.

4 - سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة 275 هـ 172/2، باب من تزوج الولود، حديث رقم 2050، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، طبعة جديدة منقحة ومفهرسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

5 - شذرات الذهب ص 69 - 71.

6 - لا ذكورية في الفقه ص 61.

ذ. أناس الكبيري

كلمات تدور على الألسن، جاء القرآن بأبلغ منها وأحسن

فمن ذلك قولهم: القتل أنفى للقتل، مذكور في قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾.

وقولهم: ليس المخبر كالمعاين، مذكور في قوله تعالى: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾.

وقولهم: ما تزرع تحصد، مذكور في قوله تعالى: ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾.

وقولهم: للحيطان آذان، مذكور في قوله تعالى: ﴿وفيكم سماعون لهم﴾.

وقولهم: الحمية رأس الدواء، مذكور في قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.

وقولهم: احذر شر من أحسنت إليه، مذكور في قوله تعالى: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾.

وقولهم: من جهل شيئًا عاداه، مذكور في قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾

وقوله سبحانه: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾.

وقولهم: خير الأمور أوسطها، مذكور في قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾.

وقولهم: من أعان ظالمًا سلطه الله عليه، مذكور في قوله تعالى: ﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله﴾.

وقولهم: لما أنضج رمَّد، مذكور في قوله تعالى: ﴿وأعصر فليلا وأكدى﴾.

وقولهم: لا تلد الحية إلا حية، مذكور في قوله تعالى: ﴿ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شذرات من كتاب: المدهش لابن الجوزي

زكرياء غزيوي

من مغالطات الإلحاد (4/2)

د. أحمد زايد

ليس للباطل قاعدة راسخة يقوم عليها، والباطل كما في معاجم اللغة "ما لا ثبات له عند الفحص"، وأبطل الباطل إنكار واجب الوجود "الله سبحانه وتعالى"، والواجب ما لايقبل العدم أو الانتفاء، وأي فكرة أو رأي ينكر واجب الوجود تحت أي دعوى فهي باطلة عقلا، وسنبين جانبا من مغالطات الإلحاد والملحدين ونناقشها بإيجاز.

• المغالطة الأولى: طلب الشيء من غير سبيله

يقول النسفي في مطلع رسالته في العقيدة: "وأسباب العلم ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل، فللمدركات طرق ووسائل تدرك بها، وهي إما محسوسات فسبيل إدراكها المناسب هو (الحواس)، وإما مسائل غائبة لا تدرك بالحس ولا بالعقل ابتداء مثل: المسائل الدينية والأخبار الغيبية فلا سبيل إلى تحصيلها ومعرفتها ابتداء إلا بالخبر الصادق، وإما أمور لا تدرك إلا بالعقل وليس الخبر أو الحس سبيلا إلى معرفتها، والواجب على العاقل أن يطلب كل مدرك بوسيلته المناسبة، وبيان ذلك أنني أرى الشمس بحاسة البصر وأشعر بحرارتها وأرى ضياءها فمن المغالطة أن يطلب إنسان مني أن أقنعه عن طريق العقل أن الشمس موجوده، لأن الحواس هنا كافية في الإدراك ولأنني سأحيل السائل في النهاية إلى حاسة البصر لأن المطلوب إدراكه من المحسوسات، وإن كنتُ مثلا في الطابق العاشر في بناية شاهقة وشاهدت من خلف زجاج النافذة بعيني دخانا يتصاعد من أسفل فالعقل ينتقل مباشرة إلى إثبات نار هي السبب في إحداث هذا الدخان، وليس ضروريا أن أدرك النار بالحاسة المبصِرة، ولا يتوقف فهم إدراكي وجود النار علىَ الرؤية البصرية، وإنما يكفي عقلا الاستدلال بالأثر على المؤثر، وأنا أصدق بوجود حوادث وممالك قديمة، كما اعتقد بوجود أقطار وبلدان لم أرها وذلك ثابت لدي بسبب تواتر الأخبار في نقلها والإخبار عنها، فبان مما سبق أن المدركات إنما تتحصل حسب طبيعتها بوسائل ثلاث هي: العقل والحس والخبر الصادق".

• المغالطة الثانية: مغالطة الملحد في تطبيق ذلك

يأتي الملحد ويقع في المغالطة الكبرى فيطلب بعض المدركات من غير سبيلها وبغير وسيلتها، فينكر وجود الله والغيب والملائكة وغير ذلك وحجته في ذلك أن حواسه لم تدرك هذه المذكورات، والسبب في ذلك غلبة المنهج المادي أو التجريبي او الحسي على فكره، وهنا لابد لصاحب العقيدة الحقة ألا يتأثر بمثل ذلك ولا يحسبن ذلك مسلكا صحيحا، وسر بطلانه وخطئه طلبه المعقولات بالمحسوسات، وتطلبه الغيبيات التي سبيلها الخبر بالحس.

ولقد عاب الله تعالى على من سلك هذا السبيل من قديم كبني إسرائيل الذين قالوا" ﴿لن نومن لك حتى نرى الله جهرة﴾ أي: "لن نقر ونتبع ما جئتنا به حتى نرى الله جهرة وعياناً يرفع الحجب والأستار بيننا وبينه، وكشف الغطاء دوننا ودونه فنراه بأعيننا ونبصره كما نبصر كل شيء كان مغطى ثم كشف عنه غطاؤه وتبدى واضحاً جلياً للعين بدون شيء يستره ويغطيه".

وعندما يدخل المؤمن في حوار مع أمثال هذا الصنف ينبغي أن يقوم حواره على قاعدة "طلب المدركات من طريقها المناسب" فإن اتفق الملحد معنا في التقيد بهذه القاعدة فذاك، وإلا فلا سبيل للكلام البناء الهادف معه.

• المغالطة الثالثة: تنزيل العقل غير منزلته وإعماله في غير نطاقه

عندما تكلم ابن خلدون في المقدمة عن علم الكلام قرر مسألة مهمة وهي أن "للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره"، ثم قرر كذلك أن هناك مسائل نطاقها أوسع من نطاق العقل، وهذا ليس بقادح في العقل ومدركه، والعقل على صحة أحكامه -غالبا- وأنه ميزان صحيح دعا الشرع إلى إعماله إلا أنه لا يمكننا أن نزن به أمور الآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في محال.، ثم يقول: "فلعل الأسباب إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق إدراكنا ووجودنا، خرجت عن أن تكون مدرَكة، فيضل العقل في بيداء الأوهام، ويحار وينقطع"، وهذا الذي ذكره ابن خلدون أصل في التعامل مع أمور العقائد بالذات، بل في غيرها كذلك، لأن عالم الغيب له قوانينه التي يعجز العقل عن تصور حقيقة عملها، ولا يصح تحميل العقل فوق طاقته بالربط الشرطي بين الإيمان والإدراك العقلي لحقائق الألوهية والجنة والنار وغير ذلك فإن ذلك خارج عن إطار العقل المحدود المخلوق الذي لا يعدو أن يكون جارحة لها نطاق إدراكها كالعين والسمع وغير ذلك، وتكمن مغالطة الملحد في هذه المسالة بأنه يريد أن يجعل العقل الفيصل النهائي بحيث يكفر صاحبه بما عجز عقلا عن أدراك كنهه، ويؤمن بما هو في نطاق إدراكه العقلي فقط، وتلك مغالطة لا تقل سقوطا عن سابقتها التي حصر أصحابها المدركات في المحسوسات، أو تطلبوا المعقولات بالحواس.

• المغالطة الرابعة: تحكيم قوانين عالم الشهادة في عالم الغيب

وتلك مغالطة خطيرة وتعد في نظر أهل الإيمان طفولة عقلية وليس ذكاء علميا كما يدعي منتحلو الإلحاد، تأتي هذه المغالطة من الملحد بقصد أو جهل، فنراه يحاول فهم الحقائق الغيبية بتطبيق قوانين عالم الشهادة المرئي والمخلوق عليها، ناسيا طبائع الأشياء واختلاف القوانين بحسب طبيعة الأشياء، فينكر أخبار الجنة والنار وخرق العادات والقوانين فيهما، لعدم استيعابه الفروق بين قوانين الدنيا التي وضعها الإنسان وبين عالم آخر لا يخضع لتلك القوانين، وهو يرى اختلاف القوانين أمامه، فمثلا حالة الإنسان في النوم وطبيعة ما يراه من رؤى وأحلام لا تحكمها قوانين اليقظة، وكذلك يوقن الملحد بما أخبر به علماء الفضاء من أن للفضاء خارج الغلاف الجوي قوانين كقانون الجاذبية وغيره تختلف كثيرا عن قوانين الأرض، وفي عالم المادة تختلف قوانين المواد تبعا لطبيعتها فقانون الحديد غير التراب غير الخشب غير الماء وهكذا، مع كل هذا يغالط الملحد ويريد تحكيم قوانين عالم الشهادة بما فيه في عالم الغيب الذي لم يره، ولم يعايشه ولم يعرف طبيعة الأشياء فيه، فلما عجزت قوانين عالم الشهادة عن تفسير حقائق الغيب كفر به وأنكره.

الجمهور ووظيفته في صناعة الحضارة وحمايتها

تحدثنا في الحلقة السابقة عن الصفوة ودورها الحضاري وخلصنا إلى أن الصفوة صانعة الحضارة إنشاء وبقاء واستمراراً. وكان المقصود مركزا على الصفوة ودورها فقط، لكن السؤال يثير نفسه: ماذا عن عامة أفراد المجتمع في كليته؟ أي دور لهذه الفئات في حركة التاريخ وصنع الحضارة؟ ألم تقم الحضارات القديمة على خبرات الفلاحين وأكتاف العمال وأيدي الصناع ومهارة الحرفيين ورحلات التجار وغيرهم من العوام؟ وقد كانوا يقومون بذلك انطلاقا من الإيمان بمقومات وأصول ثقافتهم وحضارتهم، أليس الجنود من وهبوا أرواحهم إلى جانب قوادهم في المعارك؟ وقد شاركوا في المعارك معتقدين بأنهم ينقذون أوطانهم وشعوبهم، ويحملون رسالة حضارية إلى الآخرين؟ ألا يدل كل ذلك على دور كبير تضطلع به هذه الفئات في صنع التاريخ والحضارة وحماية إرث الأمة؟ وفي عصرنا الحاضر أي دور بقي للنخبة أمام قيادة الجماهير للثورات وحركات الإصلاح والتغيير؟ أي دور يمكن أن يكون للنخبة من غير جماهير؟ وفي عصر التكنولوجيا الرقمية والتواصل الرقمي أصبحت الجماهير قادرة على تحريك نفسها بنفسها وصناعة ثقافة خاصة بها بدأت تغير ملامح عصر بأكمله، ألا يصح أن نصطلح على عصرنا عصر الجماهير بامتياز؟

أولا: الجماهير حاضنة الحضارة.

نعم لا يمكن التسليم بمطلق الحكم أن الصفوة هي كل شيء، فللجمهور وعامة فئات المجتمع دور كبير في احتضان فكر النخبة، وتلقيه تلقيا اجتماعيا ينغرس في الوجدان الفردي أولا ، ثم الجماعي ثانيا. ولا يصير لفكر النخبة أثر حضاري إلا يوم يجد الحاضنة الاجتماعية التي تؤمن به وتبدع بواسطته في كل مجالات الحضارة: علوما وفنونا وصناعات، أخلاقا وتقاليد وعادات، فتأتي منجزات الأفراد وإبداعاتهم على اختلاف ألوانها وأشكالها ومجالاتها وفق ما اعتنقوه من أفكار النخبة. ولا ترى حضارة من الحضارات النور إلا يوم تحتضن الجماهير أفكارها وتنغرس عبر الزمن في جميع أوصال المجتمع، وإلا يوم تنوب الجماهير عن الصفوة في العمل بالفكرة ونشرها عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية بجميع أنواعها ومستوياتها ووسائلها.

ثانيا: الحضارة تقوى بقوة جماهيرها كما وكيفا.

إضافة إلى ما سبق فإن دورَ الجماهير وأثرَها في الحضارة لا ينحصر في كونها حاضنة فقط وإنما في كونها مبعث قوة الحضارة؛ فلا تقوى الحضارات إلا يوم يقوى الجمهور الحاضن لها أنواعا من القوة:

– قوة باعتبار الكم والكيف: قوة الكم، وقوة الكيف؛

فقوة الكم تعطي للحضارة القوة العددية من حيث عدد السكان وعدد المنجزات وعدد المخترعات والإبداعات وعدد الثروات.

وقوة الكيف تدل على نوع وعي الجماهير برسالة أمتها الحضارية وانخراطها العملي في العيش وفقها وفي الإسهام في نشرها وترسيخها ونوع الإيمان بها ونمط التربية عليها.. فكلما كانت الجماهير أكثر إيمانا وعملا بمبادئ الحضارة إلا تجذرت الحضارة وأمنت من خطر كثير من الأمراض والعلل.

وهذا النوع من القوة لا يكون إلا بالجماهير ولا يتصور وجوده إلا بقوة الجماهير كما وكيفا. فأقوى الأمم والحضارات هي التي تمتلك أكبر رصيد من الجماهير والسكان متفوقين عددا متميزين نوعا كما هو معلوم في الجغرافيا السياسية.

– نوع من القوة باعتبار الزمان والمكان:

والحضارة لا تصل مرحلة القوة المؤثرة إلا حين تمتد امتدادين: الأول زماني والثاني مكاني؛ فالأول يضمن للأمة التجذر التاريخي وتراكم الخبرات والتجارب فيغتني رصيد تراثها ويتنوع، والامتداد المكاني يوفر للأمة الانتشار في الجغرافية الطبيعية لتنويع مصادر الثروة. لذلك كلما امتدت الأمة زمانا ومكانا مع وجود القوة الكمية والكيفية كان لها تاريخ وتراث يؤهلها للتدافع على موقع الريادة بل لن تكون أمة أقوى منها إلا التي تأسست على هذين الشرطين على أحسن وجه.

والأمم التي تعتمد على العنصر البشري الذي هو الجمهور هي الأمة التي تضمن لنفسها قوة البقاء، وتحمي نفسها من عوامل الفناء، ولقد أثبت التاريخ أن الحضارات القوية هي التي كان لها امتداد زماني ومكاني، واعتنقها أكبر جمهور بشري قد يسع أمما وشعوبا مختلفة في لغاتها وثقافاتها وأعراقها لكنها انصهرت في بوتقة حضارة واحدة عبر مدى زماني طويل.

ثالثا: في الأمراض التي تصيب الجماهير.

إن جماهير أي أمة معرضة لأمراض وتحديات تحول بينها وبين سيرها الحضاري السليم، ومن أبرز هذه الأمراض:

1 – اختلاف الرؤوس القائدة اختلاف تنازع يترتب عليه زرع فتن الحروب بين أفراد الأمة الواحدة، فبدل أن يكون الجمهور ملتحما وراء صفوته تمزقه الاختلافات والتعصبات فلا يلتئم له شمل.

2 – الغزو الثقافي من غير وجود صحوة راشدة ولا صفوة موجهة؛ فيعجل ذلك بانحراف بوصلة الحضارة وخروجها عن روحها وذوبانها في غيرها، ولما كان الجمهور هو حاضن الحضارة فإنه كلما فقدت الحضارة حاضنها فقدت هويتها وحل أوان ارتحالها. فليس شيء أضر بأمة من اغتراب أبنائها عن أصولها وانفصالهم عن جذور ثقافتهم.

3 – استحكام الجهل والخرافة والاستبداد: فكلما أُخذ الجمهور بالخرافة، وانتشر فيه الجهل إلا وتحكم فيه الاستبداد وصار سالبا خانعا جامدا غير قادر على الوعي بذاته وبرسالته الحضارية، وقد يتحول إلى عدو يحارب النخبة عن غير وعي فيخدم الاستبداد ويديم قبضته عليه.

فالجمهور الباني للحضارة هو الذي سلم من أمراض الجهل والخرافة، وسلم من تسلط الاستبداد واستعصى على الغزو النفسي والمحو الحضاري.

رابعا: أقوى الحضارات ما تلاحم فيها رشد الجماهير برشد الصفوة.

تبين مما سبق أن لا حضارة من غير صفوة، ولا صفوة مؤثرة من غير جماهير، ولا جماهير راشدة من غير صفوة راشدة؛ لأن الجماهير الراشدة هي الجماهير المتلاحمة مع صفوتها في المنشط والمكرة، والعسر واليسر، كما أنه لا حضارة راشدة وقوية إلا برشد صفوتها وجماهيرها معا.

والأمم الحية المتحضرة هي التي تسهر على تكوين الصفوة الخيرة الراشدة في كل مجالات الحياة ومستوياتها لتصل إلى كل أفراد الأمة، فتضمن لنفسها قوة الصفوة وسلامتها ووفرتها من جهة، وقوة الأتباع ورشدهم الحضاري من جهة ثانيا.

وفي الختام يمكن القول إن دور الجمهور في بناء الحضارات وحفظ بقائها وتعزيز قوتها وحمايتها من عوامل السقوط كبير، وتزداد قيمة هذا الدور وأهميته كلما كان التجاوب والتفاعل سليما بين الجمهور والصفوة الراشدة في الأمة..

الطيب بن المختار الوزاني

المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في السيرة النبوية

في موضوع:

السيرة النبوية الكاملة الشاملة قضاياها النظرية والمنهجية والتطبيقية

لديباجة:

لقد خدم المسلمون نص القرآن الكريم أول ما خدموا؛ فجمعوه من الرقاع والأكتاف والعُسب وصدور الرجال... في صحف، في عهد الخليفة الصديق، رضي الله عنه وأرضاه. ثم جمعوه في مصحف إمام، وزعت نسخه على الأمصار، في عهد الخليفة ذي النورين عثمان. رضي الله عنه وأرضاه.

وحسنا صنعوا.

ثم من بعد ذلك خدم المسلمون نص السنة البيان؛ فكان أول أمر رسمي بجمع الحديث الشريف، على يد عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه وأرضاه، آخر المائة الأولى. وفرغت الأمة، أو كادت، من توثيق الحديث الشريف، منتصف المائة الثالثة.

وحسنا صنعوا.

وكل ذلك فعلوه استجابة لموجبات، أوجبتها يومئذ الحاجات الكبرى للذات.

ورحمة بالمسلمين، خلال ثلاثة عشر قرنا أو يزيد، من تفاعلهم مع الزمان والمكان، لم تبلغ الدواعي فيها درجة الموجبات، فلذلك لم يخدموا نص السيرة النبوية خدمة تشبه خدمة نص القرآن، ونص السنة البيان.

أما اليوم، وقد زلزلت أرض المسلمين زلزالها، وأُورِثَ عدوهم، بما كسبت أيديهم، أرضَهم وديارهم وأموالهم، منذ ما يناهز قرنا أو يزيد، وتفككت الأوصال، وتناثرت الأشلاء، ولم يكد يبقى إلا الغثاء... فقد صار واجبا، بل من أوجب الواجبات، خدمة نص السيرة النبوية، استجابة للحاجات الكبرى للذات.

أجل، لقد صار واجبا، وفي أقصى درجات الاستعجال، إقامة نص السيرة النبوية الكاملة الشاملة؛ ذلك بأن السيرة النبوية هي المنهاج الأكمل والنموذج الأمثل، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور؛

فيها كَمُلَ كل ما سبق في الرسالات، ومنها يُستمَد كل ما لحق ويَلحق من الإصلاحات.

هي الوجه التطبيقي للقرآن، منزلا بالتدريج في زمان ومكان، ليتم به الصنع على عين الله تعالى لأفضل نمط لحياة الإنسان، بأبسط الأدوات، و في أقل الأوقات.

فيها نُزِّل وبُيِّن وطُبِّقَ القرآن كله، وفيها قيل وفُعِل وأُقِرَّ الحديث كله؛ فهي لذلك، يوم يقام نصها، ستتضمن الوحي كله قرآنا وسنة؛ منظومين في الزمان، مربوطين بالمكان، مترابطين ومرتبطين بالإنسان؛ منذ كان ﷺ فردا في غار حراء، حتى صار والذين معه خير أمة أخرجت للناس، علاوة على تضمنها لما صَحَّ وقُبِلَ من الروايات السيريَّة والتاريخية وغيرها، مربوطة كذلك بالزمان والمكان والإنسان.

هذا الأنموذج للسيرة النبوية، يوم يَمْثُل أمام الناس نصا جامعا موثقا، سينتهي بمُثوله الفصل الأول من فصول خدمة السِّيرة النبوية، وهو فصل كتابة نصها (نص السيرة). وبه تُحَلُّ "معضلة النص" في مجال السيرة، وتظهر للناس مدونة "السيرة السنة" أو "السيرة المنهاج"، الجامعة بين الوحي وبيانه وأثره، متفاعلا مع إنسان بعينه، في مكان بعينه، وزمان بعينه، لإعطاء تجربة نموذجية للبشرية حتى قيام الساعة، في إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وبمثوله أيضا يبتدئ الفصل الثاني، على وجهه الصحيح، من فصول خدمة "السيرة" وهو فصل فقهها (فقه السيرة)؛ أي استخلاص الهدى المنهاجي من نصها الكامل الشامل، لتَبَيُّن معالم الطريق الصحيحة إلى أي إصلاح.

ذلك، ومن أجل ضبط خارطة الطريق، لإنهاء كتابة الفصل الأول من فصول خدمة "السيرة"، اقترحت مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) لمؤتمرها العالمي الثالث للباحثين في السيرة النبوية، الموضوع الآتي:

السيرة النبوية الكاملة الشاملة
قضاياها النظرية والمنهجية والتطبيقية

أهداف المؤتمر:

- بيان حاجة الأمة إلى سيرة نبوية كاملة شاملة.
- بيان المنهج لإخراج السيرة الكاملة الشاملة.
- التعاون على إنجاز السيرة الشاملة.

محاور المؤتمر:

المحور الأول: قضايا نظرية

- السيرة النبوية الكاملة الشاملة: التسمية والمفهوم.
- السيرة النبوية الكاملة الشاملة والقرآن الكريم.
- السيرة النبوية الكاملة الشاملة والحديث الشريف.
- السيرة النبوية الكاملة الشاملة وكتب السيرة والتاريخ.
- السيرة النبوية الكاملة الشاملة وكتب التراث الأخرى.

المحور الثاني: قضايا منهجية

- بداية السيرة الكاملة الشاملة ونهايتها، وترتيب وقائعها.
- توثيق نصوص السيرة الكاملة الشاملة.
- ربط نصوص السيرة الكاملة الشاملة بالزمان والمكان والإنسان.
- ضوابط الترجيح بين مرويات السيرة.
- خطة عامة لتركيب السيرة الكاملة الشاملة.

المحور الثالث: قضايا تطبيقية

- نموذج الاعتماد على القرآن الكريم في بناء السيرة (تجربة محمد عزة دروزة).
- نموذج الاعتماد على الحديث الشريف في بناء السيرة (تجربة أكرم ضياء العمري).
- نموذج محاولة جامعة لمختلف المصادر (تجربة مهدي رزق الله أحمد).
- تركيب نصوص واقعة من وقائع السيرة الكاملة الشاملة.

الجهات المنظمة والمتعاونة:

- مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)
- بفاس
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط.
- المجلس العلمي الأعلى بالرباط
- مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث بالعرائش.

الجهات المدعوة للمشاركة:

- جامعات العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية.
- مراكز البحث في السنة والسيرة والتاريخ.
- الجمعيات العلمية المتخصصة أو المهتمة بالسيرة النبوية.
- المجامع والمؤسسات والمنظمات الدولية ذات الصلة بموضوع المؤتمر.
- القنوات والمراكز الإعلامية المهتمة بموضوع المؤتمر.
- الباحثون المتخصصون والمهتمون.

أجل، لقد صار واجبا، وفي أقصى درجات الاستعجال، إقامة نص السيرة النبوية الكاملة الشاملة؛ ذلك بأن السيرة النبوية هي المنهاج الأكمل والنموذج الأمثل، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور

خادم التراث الإسلامي شعيب الأرنؤوط: سيرة عالم محقق مدقق

فقدت الأمة الإسلامية ومكتباتها العلمية خلال شهر محرم 1438 أحد كبار خدام التراث الإسلامي في مجال التحقيق إنه الشيخ شعيب الأرنؤوط رحمه الله تعالى، بعد حياة زاخرة بطلب العلم ومصاحبة فحول العلماء في كثير من التخصصات العلمية، والعيش بين أمهات الكتب التراثية تحقيقا وتدقيقا، وتوثيقا. فمن هو الشيخ شعيب الأرنؤوط؟ وما هي آثاره العلمية في مجال التحقيق؟

اسمه ونسبه ونشأته:

هو شعيب بن محرم الأرنؤوط، ينحدر نسبه من أسرة ألبانيَّة الأصل، هاجرت إلى دمشق سنة 1926م واستقرَّت بها، لسبب يعود رُبَّما إلى اعتقاد والده فضل الشَّام وسُكناها، فقد كان والده محبّاً للعلماء حريصاً على مصاحبتهم.

وُلد الشيخ شعيب الأرنؤوط في مدينة دمشق سنة 1928م، ونشأ في ظل والدَيه نشأةً دينية خالصة، تعلَّم خلالها مبادئَ الإسلام، وحفظ جزءًا كبيرا من القرآن الكريم، ولعلَّ الرَّغبة الصَّادقة في الفهم الدَّقيق لمعاني القرآن الكريم، وإدراك أسراره، هي من أقوى الأسباب التي دفعته إلى دراسة اللُّغة العربيَّة في سنٍّ مبكِّرة، حيث مكث ما يربو على عشر سَنوات يختلف إلى مساجد دمشق ومدارسها القديمة، قاصداً حَلَقات اللُّغة في علومها المختلفة، من نحو وصرف وأدب وبلاغة وما إلى ذلك.

طلبه للعلم:

تتَلْمَذ الشيخُ في علوم العربيَّة على كبار أساتذتها وعلمائها في دمشق آنذاك، منهم الشيخ صالح الفرفور، والشيخ عارف الدُّوَجي -اللذان كانا من تلاميذ علامة الشَّام في عصره الشيخ بدر الدين الحسَني- حيث قرأ عليهم أشهر مصنَّفات اللُّغة والبلاغة العربيَّة؛ منها: شرح ابن عقيل، و(كافية) ابن الحاجب، و(المفصَّل) للزمخشري، و(شذور الذهب) لابن هشام، و(أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) للجُرجاني.

وممن قرأ عليه أيضاً: الشيخ سليمان الغاوجي الألباني، الذي كان يشرح لطلاَّبه كتاب (العوامل) للبَركوي، و(الإظهار) للأَطْهُلي، وغيرهما.

وبعد هذه الرِّحلة الطَّويلة الشاقَّة مع العربيَّة، اتجَّه الشيخ لدراسة الفقه الإسلامي، فلازم أكثر من شيخ يقرأ عليه كتب الفقه، ولا سيَّما تلك المصنَّفة في الفقه الحنفي، مثل: (مراقي الفلاح) للشرنبلالي، و(الاختيار) للمَوْصلي، و(الكتاب) للقدوري، وحاشية ابن عابدين.

وقد استغرقت دراسته للفقه سبعَ سنوات أخرى، تخللتها دراسة أصول الفقه، وتفسير القرآن، ومصطلح الحديث، وكتب الأخلاق، وكان في تلك المرحلة قد جاوز الثلاثين.

اشتغاله بالتحقيق:

لمس الشيخ - في أثناء دراسته للفقه - القصورَ الواضح عند شيوخه ومن عاصرهم في معرفة صحيح الحديث من سقيمه، وذلك ما جعله يدرك أهميَّة التخصص في علم السُّنة ليتسنَّى تحقيق كتبها، ومن ثمَّ تمييز صحيحها من ضعيفها، فعقد العزم على الاضطلاع بهذه المهمَّة الصَّعبة، فترك لأجلها مهنةَ تدريس اللُّغة العربيَّة التي كان يزاولها منذ سنة 1955م، وفرَّغ نفسه للاشتغال بتحقيق التُّراث العربي الإسلامي.

وكانت بدايته الأولى في (المكتب الإسلامي) بدمشق سنة 1958م، حيث ترأَّس فيه قسم التَّحقيق والتَّصحيح مدَّة عشرين عاماً، حقَّق فيها أو أشرف على تحقيق ما يزيد على سبعين مجلداً من أمَّهات كتب التُّراث في شتَّى العلوم.

ثم بدا له أن ينتقل إلى العمل مع (مؤسَّسة الرِّسالة) في مكتبها بعمَّان سنة 1982م، ليترأس من جديد قسم تحقيق التُّراث التَّابع لها، فكان عملُه فيها أنضجَ وأرحب، ويمكن القول: إنَّ أهمَّ إنجازاته في تحقيق التُّراث قد تمَّت أثناء عمله في هذه المؤسَّسة التي تُعد بحقٍّ رائدةً في بعث التُّراث العربي الإسلامي.

ولعل ما كتبه الدكتور (بشار عوَّاد معروف) في مقدمته لكتاب (سير أعلام النبلاء) في معرض حديثه عن تحقيق الكتاب، يجلي نواحيَ مهمَّة من طبيعة العمل الذي نهض به الشيخ الأرنؤوط في قسم تحقيق التُّراث بالمؤسَّسة، يقول: ".. ثم توَّج عمله -صاحب الرسالة- بأن ندب لمراجعة الكتاب والإشراف على تحقيقه، عالماً بارعاً، متابهاً عن الشهرة، قديراً على تذليل الصعاب، فطناً لإيضاح المبهم، كفياً بتيسير العسير، هو الأستاذ المحدِّث الشيخ شعيب الأرنؤوط، وقد عرفتُ لهذا العالم فضلَه الكبير على هذا السِّفر النَّفيس، آثرَ ذي أثير حين اشترط أن يُقام التَّحقيق على أفضل قواعده.. وهو اليوم فارسُ هذا الميدان الخطير الذي كشف مغابنه، واستشف بواطنه".

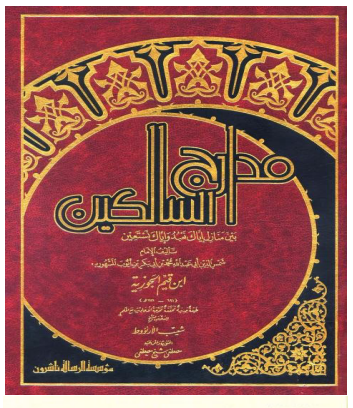

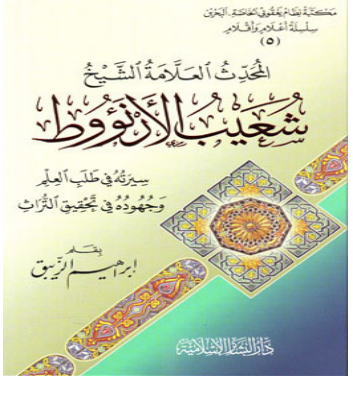

تلاميذه:

تخرَّج على يد الشيخ شعيب الأرنؤوط في التحقيق عددٌ غير قليل من طلبة العلم، منهم: محمد نعيم العرقسوسي، وإبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، وعمر حسن القيَّام، وأحمد عبد الله، وعبد اللَّطيف حرز الله، وأحمد برهوم، ورضوان العرقسوسي، وكامل قره بللي.

وقد قرَّ الشيخ عيناً حين رأى كل واحد من هؤلاء قادراً على القيام بأعباء التعامل الصَّحيح مع علوم السُّنة والاستقلال بعمله.

وأثَرُ الشيخ الأرنؤوط واضحٌ جليٌ في الكتب التي حقَّقها هؤلاء، الذين حفظوا له فضلَه عليهم ورعايته لهم.

يقول الشيخ نعيم العرقسوسي في مقدمة تحقيقه لكتاب (توضيح المشتبه) لابن ناصر الدين: «وأخصُّ الشكر وأجزلُه، وعظيمُ الوفاء وأجملُه، إلى من لولا رعايتُه وعنايته ما كنت في عداد من يُعنى بتحقيق التُّراث، إلى من هو جديرٌ بكل تقدير واحترام، وأهلٌ لكل تكريم وإعظام، إلى فضيلةَ الشيخ المفضال المعطاء المحتسب أستاذي شعيب الأرنؤوط حفظه الله».

ويقول الأستاذ إبراهيم الزيبق أيضاً في مقدمة تحقيقه لكتاب (طبقات علماء الحديث) لابن عبد الهادي: "وبعدُ.. هل تكفي كلمة شكر أزجيها لأستاذي وشيخي شعيب الأرنؤوط؟ وهل تجزي عني كلمة ثناء أكتبها له بحروف المحبة والصدق؟.. إن ما بعنقي له أوسعُ من الشكر، وأجزل من الثناء، إنَّ ما فتح عليه عينيَّ من أمر الحياة، وأنا أتلمَّس طريقي بعقلٍ غضٍ وقلب مرهف جعل أيامي معه سنين في عمقها وغناها، ثم أخذ بيدي في عالم التَّحقيق، فمنحني ثقتَه وما أغلاها، وأنار دربي بعلمه وما أغزرَه، فلك يا أستاذي شكرٌ أوسع من الشُّكر، وثناءٌ أعظم من الثَّناء، والله يتولى عني حُسنَ جزائك".

وقد كانت علاقةُ الشيخ بتلاميذه علاقةَ الصَّديق بأصدقائه، فكان قريباً منهم، حريصاً على نفعهم وهدايتهم، ولم يكن يفرض عليهم آراءه وأحكامه، بل كان يحثُّهم على أن يُعملوا عقولهم، ويبدوا حجَّتهم، وكثيراً ما كان يستشيرهم، وينزل عند رأيهم، مما كان له أثره الطيب في نشأتهم وتعلُّمهم.

منهجُه في التَّحقيق:

للشيخ منهجٌ واضحٌ مستتبٌّ في التحقيق، تجده مطبَّقاً في معظم الكتب التي حقَّقها، أو أشرف على تحقيقها، وكثيراً ما كان يعرض هذا المنهج في مقدماته الضافية التي كان يصدِّر بها هذه الكتب، والتي تشتمل في الغالب -فضلاً عن (منهج التَّحقيق)- على ترجمة وافية للمؤلَّف ودراسة شاملة للكتاب ووصف دقيق للنُّسخ التي اعتمدها، ونماذجَ من هذه النُّسخ.

إنَّ المحقِّق الأصيل عند الشيخ الأرنؤوط، لا ينحصرُ عملُه في أن يُخرج النصَّ مصحَّحاً كما كتبه المؤلِّف وحسْب، وإنما يتعدَّى ذلك إلى تتبُّع ما أورده المؤلِّف من أفكار، ورجَّحه من أقاويل، وبيان ما جانبَ فيه الصَّوابَ، ولذا كثيراً ما نجده يخالف مؤلفي الكتب التي يحققها في بعض آرائهم وأحكامهم، كما قد يخالف كبارَ العلماء المحققين ممن سبقوه، القدماء منهم كالحافظ ابن حجر، والمحدثين كأحمد محمد شاكر. على أنه إذ يخالفهم، ويسجِّل مؤاخذته عليهم، يحرص كلَّ الحرص على أن يؤكِّد أن مخالفته إيَّاهم وانتقاده لهم، لا ينقص من قَدْرهم الجليل، ولا يغضُّ من قيمتهم، متمثِّلاً قول الإمام أحمد رحمه الله: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثلُ إسحق بن راهويه، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن النَّاس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً».

والواقع أنَّ هذا الأسلوب المتَّزن في النَّقد من أظهر ما يتميَّز به منهج الشيخ الأرنؤوط في التَّحقيق، إذ قلَّما تجده في كتابات المشتغلين بهذا الفن في الوقت الحاضر.

آثاره في التحقيق:

بلغ ما حقَّقه الشيخ شعيب الأرنؤوط أو أشرف على تحقيقه، نيِّفاً وأربعين ومئتي مجلد، شملت كتب السُّنة النَّبوية، والفقه، وتفسير القرآن، والتَّراجم، والعقيدة، ومصطلح الحديث، والأدب وما إلى ذلك.

ومن أهمِّ هذه الأعمال وأبرزها:

1 - (شرح السُّنة) للبغوي، ستة عشر مجلَّداً.

2 - (مهذِّب الأغاني) لابن منظور، اثنا عشر مجلَّداً.

3 - (المبدع في شرح المقنع) لابن مفلح الحنبلي، عشرة مجلدات.

4 - (زاد المسير في علم التَّفسير) لابن الجوزي، بالاشتراك مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، تسعة مجلَّدات.

5 - (مطالب أولي النُّهى في شرح غاية المنتهى) للرحيباني، بالاشتراك مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، ستَّة مجلَّدات.

6 - (الكافي في فقه الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل) لابن قدامة، بالاشتراك مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، ثلاثة مجلَّدات.

7 - (سير أعلام النُّبلاء) للذَّهبي، خمسةٌ وعشرون مجلَّداً.

8- (العواصم والقواصم في الذبِّ عن سنة أبي القاسم) لابن الوزير، تسعة مجلَّدات.

9 - (سنن الترمذي)، ستة مجلَّدات

10 - (سنن الدَّارقطني)، بالاشتراك مع حسن شلبي، خمسة مجلَّدات.

11 - (زاد المعاد في هدي خير العباد) لابن القيِّم، بالاشتراك مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، خمسة مجلَّدات.

12 - (تاريخ الإسلام) للذهبي، بالاشتراك مع الدكتور بشار عواد معروف، صدر منه أربعة مجلَّدات.

13 - (مسند الإمام أحمد)، صدر في خمسين مجلداً، ضمن (الموسوعة الحديثيَّة الكبرى) التي تنوي مؤسَّسة الرِّسالة إخراجها بإشراف الشيخ.

14 - (الآداب الشَّرعيَّة والمنح المرعية) لابن مفلح الحنبلي، بالاشتراك مع عمر حسن القيَّام، أربعة مجلَّدات.

15 - (طبقات القرَّاء) للذهبي، بالاشتراك مع الدكتور بشار معروف، مجلَّدان.

16 - (شرح العقيدة الطحاويَّة) لابن أبي العز، بالاشتراك مع الدكتور عبد الله التُّركي، مجلَّدان.

وفاته:

توفي رحمه الله في يوم الخميس 26 محرم سنة 1438 هـ الموافق 27 أكتوبر 2016م في مدينة عمان.

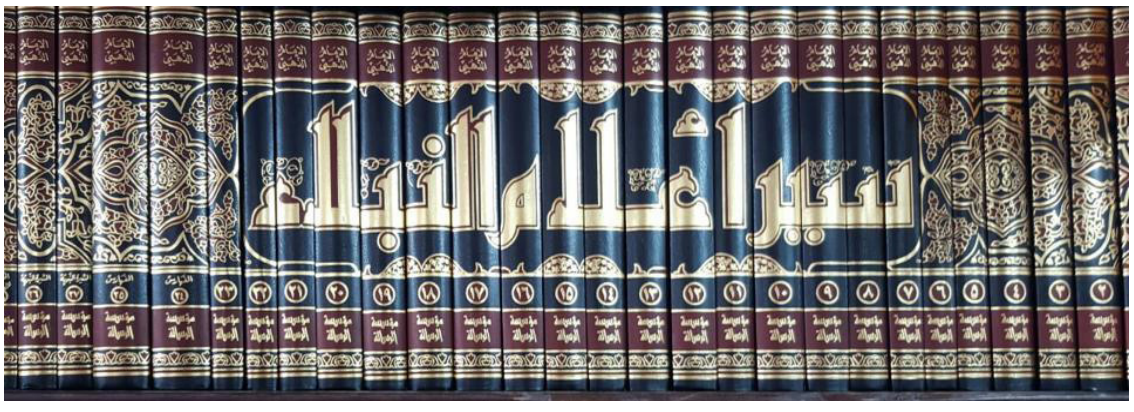

تحسين نمط الاتصال والتواصل في العلاقات الأسرية (3)

كيف تتعاملين أيتها الزوجة مع زوجك؟

توجيهات خاصة جداً من جلسات العلاج النفسي العميق والعلاج الزواجي والعائلي.. إليك أيتها الزوجة كي تصبح علاقتك بزوجك في أحسن حالاتها:

1 - أن تعرفي طبيعة العلاقة الزوجية، فهي علاقة شديدة القرب شديدة الخصوصية وممتدة في الدنيا والآخرة، وقد تمت بكلمة من الله وباركتها السماء واحتفى بها أهل الأرض، وهذا يحيطها بسياج من القداسة والطهر.

2 - أن تكوني أنثى حقيقية راضية بأنوثتك ومعتزة بها، فهذا يفجر الرجولة الحقيقية لدى زوجك؛ لأن الأنوثة توقظ الرجولة وتنشطها وتتناغم وتتوافق معها وتسعد بها، أما المرأة المسترجلة التي تكره أنوثتها وترفضها فنجدها في حالة صراع مرير ومؤلم مع رجولة زوجها، فهي تعتبر أنوثتها دونية وضعف وخضوع وخنوع، وتعتبر رجولة زوجها تسلط وقهر واستبداد، وبالتالي تتحول العلاقة الزوجية إلى حالة من الندية والمبارزة والصراع طول الوقت، ويغيب عنها كل معاني السكن والود والرحمة.

3 - أن تفهمي ظروف نشأته فهي تؤثر كثيراً في تصوراته ومشاعره وسلوكه وعلاقاته بك وبالناس، وفهمك لظروف نشأته ليس للمعايرة أو السب وقت الغضب، ولكن لتقدير الظروف والتماس الأعذار.

4 - أن تحبي زوجك كما هو بحسناته وأخطائه، ولا تضعي نموذجاً خاصاً بك تقيسيه عليه؛ فإن هذا يجعلك دائماً غير راضية عنه؛ لأنك ستركزين فقط على الأشياء الناقصة فيه مقارنة بالنموذج المثالي في عقلك أو خيالك، واعلمي أن كل رجل -وليس زوجك فقط- له مزاياه وعيوبه لأنه أولاً وأخيراً إنسان.

5 - لا تكثري من لومه وانتقاده فهذا يكسر تقديره لذاته وتقديرك له، ويقتل الحب بينكما فلا يوجد أحد يحب من يلومه وينتقده طول الوقت أو معظم الوقت.

6 - احترمي قدراته ومواهبه (مهما كانت بسيطة) ولا تترددي في الثناء عليهما فهذا يدفعه للنمو ويزيد من ثقته بنفسه وحبه لك.

7 - عبري عن مشاعرك الإيجابية نحوه بكل اللغات اللفظية وغير اللفظية، ولا تخفي حبك عنه خجلاً أو خوفاً أو انشغالاً أو تحفظاً.

8 - احرصي على تهيئة جو من الطمأنينة والاستقرار والهدوء في البيت وعلى أن تسود مشاعر الود (في حالة الرضا) ومشاعر الرحمة (في حالة الغضب)، فالسكن والمودة والرحمة هما الأركان الثلاثة للعلاقة الزوجية الناجحة.

9 - احترمي أسرته واحتفظي دائماً بعلاقة طيبة ومتوازنة مع أهله وأقاربه.

10 - اجعلي سعادته وإسعاده أحد أهم أهدافك في الحياة، فإنك إن حققت ذلك تنالين رضاه والأهم من ذلك رضا الله.

11 - الطاعة الإيجابية مصداقاً للآية الكريمة: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ (النساء: 34) والقوامة هنا ليست تحكماً أو استبداداً أو تسلطاً أو قهراً، بل رعاية ومسئولية واحتواء وحبا، والقنوت في الآية معناه الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة لا عن قسر وإرغام. فطاعة الزوجة السوية لزوجها السوي ليست عبودية أو استذلال؛ وإنما هي مطاوعة نبيلة مختارة راضية وسعيدة، وهي قربة تتقرب بها الزوجة إلى الله وتتحبب بها إلى زوجها، وهي علامة الأنوثة السوية الناضجة في علاقتها بالرجولة الراعية القائدة المسئولة ولا تأنف من هذا الأمر إلا المرأة المسترجلة أو مدعيات الزعامات النسائية.

12 - حفظ السر، فالعلاقة الزوجية علاقة شديدة القرب، شديدة الخصوصية، عالية القداسة، ولذلك فالحفاظ على سر الزوج هو حفاظ على القرب والخصوصية، ومراعاة لحرمة الرباط المقدس بين الزوجة وزوجها في غيابه وحضرته على السواء. وحفظ السر ورد في الآية الكريمة السابق ذكرها في وصف الصالحات بأنهن حافظات للغيب بما حفظ الله.

13 - أن تراعي ربك في علاقتك بزوجك وأن تعلمي أن العلاقة بينك وبين زوجك علاقة سامية مقدسة يرعاها الإله الأعظم ويباركها الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأن صبرك على زوجك وتحملك لبعض أخطائه لا يضيع هباء، بل تؤجرين عليه من رب رحيم عليم، وتعرفين أنه إذا نقص منك شيء في علاقتك بزوجك وصبرت ورضيت فأنت تنتظرين تعويضاً عظيماً من الله في الدنيا والآخرة، هذا الشعور الروحاني في الحياة الزوجية له أثر كبير في نجاحها واستمرارها وعذوبتها، خاصة إذا كنتما تشتركان في صلاة أو صيام أو قيام ليل أو حج أو عمرة أو أعمال خير، فكأنكما تذوبان معاً في حب الله وفي السعي نحو الخلود، وأنتما تعلمان بأن هناك دورة حياة زوجية أخرى بينكما في الجنة تسعدان فيها بلا شقاء وتعيشان فيها خلوداً لا ينتهي ولا يمل.

14 - أن تفخري بإخلاصك لزوجك وتعتبرينه تاجا على رأسك حتى لو كانت لزوجك زلات أو هنات في أي مرحلة من مراحل حياتكما الزوجية، فالزوجة هي منبع الوفاء والإخلاص والخلق القويم في الأسرة كلها، وهذا ليس ضعفاً منك وإنما غاية القوة، فأنت منارة الخلق الجميل لأبنائك وبناتك وزوجك.

15 - أن تحرصي على إمتاع زوجك والاستمتاع معه وبه، بكل الوسائل الحسية والمعنوية والروحية، فالله خلقكما ليسعد كل منكما الآخر كأقصى ما تكون السعادة وسيكافئكما على ذلك في الجنة بحياة أخرى خالدة وخالية من كل المنغصات التي أتعبتكما في الدنيا، وكما يقولون فالمرأة الصالحة الذكية هي متعة للحواس الخمس لدى زوجها.

16 - أن تكوني متعددة الأدوار في حياة زوجك فتكوني له أحياناً أماً تحتويه بحبها وحنانها، وتكوني أحياناً أخرى صديقة تحاوره وتساعده، وتكوني أحياناً ثالثة ابنة تفجر فيه مشاعر الأبوة الحانية، وأن تقومي بهذه الأدوار بمرونة حسب ما يقتضيه الموقف وما تمليه حالتكما النفسية والعاطفية معاً.

17 - أن تكوني متجددة دائماً فهذا يجعلك تشعرين بالسعادة لذاتك ويجعل زوجك في حالة فرح واحتفاء بك؛ لأنه يراك امرأة جديدة كل يوم، فلا يمل ولا يبحث عن شيء جديد خارج البيت، والتجديد يشمل الظاهر والباطن، فيبدأ من تسريحة الشعر ونوع العطر وطراز الملابس مروراً بترتيب الأساس في الغرف ووصولاً إلى "طزاجة" الفكر والروح. وإذا وجدت الملل يتسرب إلى حياتكما والمياه تميل للركود حاولي تحريك ذلك برحلة أو نزهة أو عشاء خاص أو أي شيء ترينه مناسباً.

18 - أن تكون غيرتك عاقلة ومعقولة تدل على حبك لزوجك وحرصك عليه، وتنبه زوجك حين تمتد عينيه أو قلبه يميناً أو يساراً، ولا تدعي هذه الغيرة تحرق حياتك الزوجية، وتحول البيت إلى ميدان حرب وتحول الثقة والحب إلى شك واتهام، ولا يقتل الحب مثل غيرة طائشة.

19 - فليكن زوجك هو محور حياتك (وأنت أيضاً محور حياته)، بمعنى أنه يشغل فكرك ووجدانك، وتتحدد حركاتك وسكناتك طبقاً لعلاقتك به فتنشغلين به وبما يشغله وتحبين ما يحبه، وتكيفين جلوسك وانتقالاتك طبقاً لوجوده، وترتبين صحوك ونومك على برنامجه اليومي أو يتوافق برنامجك وبرنامجه كما تتوافق أرواحكما، إنه شعور بالانتماء والمعية لا يعلو عليه إلا الانتماء والمعية لخالق الأرض والسماوات.

20 - كوني واثقة به على كل المستويات، فأنت واثقة في إخلاصه لك (مهما حاول أحد تشكيكك في ذلك)، وأنت واثقة في قدراته وفي نجاحاته وفي حبه لك، هذه الثقة ليست غفلة وليست سذاجة -كما تعتقد بعض الزوجات- بل هي رسالة عميقة للطرف الآخر كي يكون أهلاً لذلك، أما المرأة التي تشك وتشكك في زوجها فإنها حتماً ستجد منه الخيانة وتجد منه الفشل، فالزوج يحقق توقعاتك منه، وكل ذرة شك تمحو أمامها ذرة حب، والشك هو السم الذي يسري في العلاقة الزوجية فيجعلها تموت بالبطئ.

21 - اهتمي بالأشياء الصغيرة في العلاقة بينكما، مثل الأشياء التي يحبها، وذكرياته التي يعتز بها، والمناسبات المهمة له.

22 - استقبلي همساته ولمساته ومحاولات قربه وتوده إليك بالحفاوة والاهتمام، وبادليه حباً بحب واهتماماً باهتمام.

23 - تزيني له بما يناسب كل وقت وكل مناسبة مع مراعاة عدم المبالغة ومراعاة ظروفه النفسية.

24 - تجنبي إهماله مهما كانت مشاغلك أو مشاكلك أو مشاعرك، فالإهمال يقتل كل شيء جميل في العلاقة الزوجية، وربما يفتح الباب لاتجاهات خطيرة بحثاً عن احتياجات لم تشبع.

25 - كوني كريمة في رضاك ونبيلة في خصومتك.

26 - التزمي الصدق والشفافية معه في كل المواقف حتى لا تهتز ثقته فيك.

27 - لا تدعي مشكلات أسرتك الأصلية أو أسرة زوجك تقتحم مجال أسرتكما الصغيرة، وراعي التوازن في العلاقات المختلفة فلا تطغي علاقتك بأمك أو أبيك أو إخوتك على علاقتك بزوجك.

28 - لا تنامي في غرفة منفصلة أو سرير منفصل مهما كانت المبررات و الأسباب.

29 - اهتمي بالتواصل الروحي بينكما من خلال علاقة صافية بالله وأداء بعض العبادات معاً كقراءة القرآن أو قيام الليل أو الحج أو العمرة أو أعمال الخير والبر.

30 - لا تحمليه فوق طاقته مادياً أو معنوياً، فهو أولاً وأخيراً إنسان ويعيش ضغوط الحياة العصرية الشديدة ويحتاج لمن يخفف عنه بعض هذه الضغوط.

31 - احذري أن يكون الأطفال هم المبرر الوحيد لاستمرار علاقتك بزوجك، واحذري أكثر أن تعلني هذا.

32 - احرصي على كل ما يضفي على حياتكما جمالاً وبهجة ومرحاً، فالحياة مليئة بالمنغصات وهي أيضاً مليئة بالملطفات، فليكن لك سعي نحو الملطفات والمجملات والمبهجات، توازنين بها صعوبات الحياة، وتضفين بها جواً من الحب والجمال والبهجة والمرح في البيت.

33 - على الرغم من الاقتراب الشديد في العلاقة بين الزوجين إلا أن الزوجة الذكية تحرص على ضبط المسافة بينها وبين زوجها اقتراباً وبعداً كي تحافظ على حالة الشوق والاحتياج متجددة ونشيطة طول الوقت.

34 - احذري تردد كلمة الطلاق في حديثك أو حديث زوجك خاصة أثناء الخلافات والخصام؛ لأن تردد هذه الكلمة ولو على سبيل التهديد يجعلها خياراً جاهزاً وقابلاً للتنفيذ في أي لحظة، إضافة إلى أنها تعطي إحساساً بعدم الأمان وعدم الاستقرار.

35 - وهذه النصيحة الأخيرة نذكرها كارهين مضطرين، ففي حالة التفكير في الطلاق أو حدوثه -لا سمح الله- كوني راقية متحضرة في إدارة الأزمة، واستبقي قدراً من العلاقة الإنسانية يسمح باستمرار الإشراف المشترك على تربية الأبناء، ولا تحاولي تشويه صورة طليقك أمام أبنائك. وحتى في حالة عدم وجود أولاد فلا بأس من أن يكون الفراق نبيلاً خالياً من التجريح أو الانتقام المتبادل.

ذ. محمد بوهو

قيم الجمال في الإسلام وأثرها في الحفاظ على البيئة

قيم الجمال في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كثيرة ومتعددة، موزعة بين الآيات والأحاديث، في سياقات مختلفة، لكنها تهدف إلى بيان الجانب الجمالي في الإسلام، باعتباره دينا سماويا جاء لهداية البشرية وإرشادهم لكل ما هو جميل في الصفات والأفعال والأقوال والأحوال، وملبيا لحاجات الإنسان الذي فُطر على حب الحُسن والجمال.

فالجمال موجود في كلام الله تعالى، في كلماته ونظمه ومعناه، وقد تصدت العرب للجانب الجمالي في القرآن فلم تستطع معارضته ولا الإتيان بمثله، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، وفي هذا تأكيد على ربانية هذا الكتاب، وأنه ليس من صنع البشر، بدليل ما في القرآن من لمسات الجمال كما في باقي أجزاء الكون والبيئة. وفي الأحاديث النبوية جمال تعبير وبلاغة كلام، كيف لا وهذه الأحاديث صادرة عن من أوتي جوامع الكلم.

والناظر في النصوص الشرعية يجدها حافلة بمعاني الجمال، ابتداءا من خِلقة الإنسان وهيئته التي خلقه الله تعالى عليها، حيث يقول سبحانه: ﴿يا أيُّها الإنسانُ ما غرَّكَ بربِّكَ الكريمِ الذي خلقكَ فسوَّاكَ فعدَلكَ في أيِّ صورةٍ ما شاءَ ركَّبكَ﴾ (الانفطار: 6-8)، وهذا تنبيه من الله تعالى إلى حُسن خِلقة الإنسان، الذي خضع للتسوية والتعديل حتى كان على أحسن صورة، والتسوية -كما عرفها الطاهر بن عاشور في تفسيره- هي: "جعل الشيء سويا؛ أي: قويما سليما، ومن التسوية جعل قواه ومنافعه الذاتية متعادلة غير متفاوتة في آثار قيامها بوظائفها، بحيث إذا اختل بعضها تطرق الخلل إلى البقية، فينشأ نقص في الإدراك أو الإحساس، أو نشأ انحراف المزاج أو ألم فيه، فالتسوية جامعة لهذا المعنى العظيم"، أما التعديل فهو: "التناسب بين أجزاء البدن مثل تناسب اليدين، والرجلين، والعينين، وصورة الوجه، فلا تفاوت بين متزاوجها، ولا بشاعة في مجموعها. وجعله مستقيم القامة"، وفي سورة أخرى: ﴿لقدْ خلقْنا الإنسانَ في أحسنِ تقويمٍ﴾ (التين: 4). ويبين النبي ﷺ هذا الإحسان والإتقان في الخلق بقوله: «اللهم كما حسَّنتَ خَلْقي فحسن خُلُقي»، وإذا كان هذا الإحسان في الخلقة، فقد نبهنا ﷺ على أهمية الإحسان في الأخلاق والمعاملة، ليرتقي الإنسان في معاني الجمال نحو الكمال. وليرى وينتبه إلى مظاهر الجمال في البيئة التي يعيش فيها، ويحافظ عليها ويعتني بها.

وينبه القرآن الكريم على مظاهر الجمال في هذه البيئة التي هي مأوى الإنسان في الحياة الدنيا: جمال الكون عامة وجمال الأرض خاصة، حيث يقول الله تعالى: ﴿إنَّا جعلْنا ما على الأرضِ زينةً لها لنبلوَهُمْ أيُّهُمْ أحسنُ عملًا﴾ (الكهف: 7)، قال القرطبي: "والزينة كل ما على وجه الأرض؛ فهو عموم لأنه دال على بارئه". فكل ما خلقه الله على الأرض هو بقصد تزيينها وتهيئها لاستقبال الإنسان، ويقول الله تعالى: ﴿أفلمْ ينظُروا إلى السَّماءِ فوقَهُمْ كيفَ بنَيْناها وزيَّنَّاها وما لها مِن فُروجٍ﴾ (ق: 6) فالسماء أيضا فيها زينة، والله تعالى هو الذي زينها كما زين الأرض وأحسن خلق الإنسان. وهذه الزينة مقصودة حتى يعيش الإنسان في سعادة؛ لأنه يحتاج لهذه الزينة في حياته، ومن أسباب راحته وانشراحه وسروره، وحب الجمال أمر طبيعي وغريزي في الإنسان.

والجمال مبثوث في الحيوانات أيضا التي خلقها الله تعالى لنا، لكي نستفيد منها ونستعين بها على تذليل صعاب الحياة، بما للإنسان فيها من منافع الأكل والشرب والدفء، حيث قال الله تعالى: ﴿والأنعامَ خلقَها لكُمْ فيها دِفْءٌ ومنافعُ ومنها تأكلونَ ولكُمْ فيها جمالٌ حينَ تُريحونَ وحينَ تَسْرَحونَ﴾ (النحل: 5-6) فهذا الجمال الموجود في الأنعام مسخر لنا نحن البشر -كما بينت الآية- نتنتعم به ونستفيد منه في حياتنا، ﴿والخيلَ والبِغالَ والحميرَ لتركبوها وزينةً ويخلقُ ما لا تعلمونَ﴾ (النحل: 8)، فالخيل والبغال والحمير زينة للإنسان، قال سيد قطب في ظلاله: "وهذه اللفتة لها قيمتها في بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة. فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة، وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام وشراب وركوب؛ بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات. تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان".

وهذه الزينة موجودة في البحار وما تحتويه من حلية اللؤلؤ والمرجان. قال تعالى: ﴿وهوَ الذي سخَّرَ البحرَ لتأكلوا منهُ لحمًا طريًّا وتستخرجوا منهُ حليةً تلبسونَها وترى الفُلْكَ مواخرَ فيهِ ولتبتغوا من فضلِهِ ولعلَّكُمْ تشكرونَ﴾ (النحل: 14)، ففي البحر منافع للإنسان وفوائد منها الزينة والجمال، وفي مجال التجمل والتزين أمر الله تعالى بأخذ الزينة عند التوجه لدور العبادة في منظر تعبدي جميل، فقال تعالى: ﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: 29)، وطلب تعالى منا مرعاة الجمال والحسن في المشي وفي رفع الصوت؛ لأن الإسراع في المشي أو البطء فيه مظهر غير لائق حضاريا، والمطلوب هو المشي في توسط واعتدال، ومثله التوسط في استعمال الصوت، وعدم رفعه؛ لأن الأصوات العالية مزعجة، وهناك تلوث سمعي نتيجة الضجيج الناتج عن المحركات والآلات.. لذلك قال الله تعالى: ﴿واقْصِدْ في مَشْيِكَ واغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إنَّ أنْكَرَ الأصْواتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ (لقمان: 18). ولأن رفع الصوت أكثر من اللازم يؤذي السامع.

وهذا مظهر اجتماعي راق، وهذا بيان من الله تعالى لنعمه على العباد، وتبصرة لهم بمواطن الجمال في البيئة، وتنبيها لهم على ضرورة الحفاظ عليها وعلى الجانب الجمالي فيها، حتى لا تفسد هذه البيئة ويذهب جمالها، فتفسد حياة الإنسان ويصيبه الضنك والشقاء.

وقد أمر الله تعالى بالإحسان، ونهى عن الإفساد في الأرض، فقال تعالى: ﴿وأحسِنْ كما أحسنَ اللهُ إليكَ ولا تبغِ الفسادَ في الأرضِ إنَّ اللهَ لا يحبُّ المفسدينَ﴾ (القصص: 77)، والخطاب طبعا موجه للإنسان، فهو المسؤول عن البيئة وعن جمالها وخيراتها؛ لأنها مسخرة له بما فيها من الثروات المائية والنباتية والحيوانية.

وبيان الجانب الجمالي في البيئة مقصود منها أيضا تنبيه الإنسان لهذا الجمال وعدم إغفاله، وأخذه بعين الاعتبار في إعمار الأرض وإصلاحها، وتنمية للذوق وصقلا للملكات والمواهب في الإنسان، للإبداع الجمالي في الحياة بما هي عبادة لله بمفهومها الواسع.

ونجد في السنة النبوية الشريفة حديثا مستفيضا عن قيم الجمال وحثا عليها وبيانا لها، فقد قال النبي ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»، فينبه ﷺ إلى قيمة الجمال في الحياة وأنها مطلوبة من الإنسان، وأن الله تعالى يتصف بصفة الجمال في صفاته وأفعاله، وله كل صفات الكمال والجمال، وهو تعالى يحب الجمال، والمؤمن مطالب بفعل ما يحبه الله تعالى والابتعاد عما يكره، وسياق الحديث هو بيان تحريم الكبر وذمه وتقبيحه، عندما قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»، قال الإمام ابن القيم: "وقوله في الحديث: «إن الله جميل يحب الجمال» يتناول جمال الثياب المسؤول عنه في نفس الحديث، ويدخل فيه بطريق العموم الجمال من كل شيء"، جمال المظهر في الثياب والهيئة، والبيت ومكان العمل، والحي السكني، ويشمل الجمال الظاهري والجمال الباطني، فالكبر لا جمال فيه، ولا الظلم والحقد أو الحسد، وقد نهى عن ذلك النبي ﷺ. وقد ذم الله سبحانه الاكتفاء بجمال المظهر الخارجي فقط، دون الجمال الباطن فقال عن المنافقين: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ (المنافقون: 4). وقال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

ونجد قيما جمالية كثيرة في السنة النبوية تضيء لنا دروب الحياة، وترشدنا نحو نمط راق في السلوك اليومي الحضاري، فنهى عن البول في الماء الراكد: فعن جابر أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد"، أو يتنفس في الإناء، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ: "نهى أن يتنفس في الإناء، وأن يمسّ ذكره بيمينه، وأن يستطيب بيمينه". ونهى ﷺ عن تلويث الطرق، فقال: «اتقوا اللعانين قالوا: وما اللعانان؟ قال: الذى يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم».

والغاية من كل هذه الإرشادات والتوجيهات النبوية هي أن تكون طرقنا وشوارعنا، وأحياؤنا: خالية من التلوث والنفايات المنغصة للحياة. وتبقى نقية جميلة، مريحة في المشي، تبعث في النفس الاطمئنان والراحة والسكينة.

وهذه القيم تحتاج إلى بيانها وتقديمها للناشئة في المحاضن التربوية بدء من الأسرة إلى المدرسة إلى المجتمع المدني.. لترتبط الأجيال بربها فتستمد منه الهداية ويصلح أمرها، وبصلاحها تصلح الأرض بما حوته من موارد بيئية.

د. محمد البويسفي

العلاقة بين قواعد السياسة الشرعية وقواعد مقاصد الشريعة

لكل علم قواعده التي تجعل منه علما قائما بذاته، ومعلوم أن لقواعد العلوم خصائص ذاتية تميز بعضها عن بعض، والناظر بعمق في قواعد العلوم يلاحظ وجود عناصر مشتركة بين بعضها البعض، ولا يمكن اعتبار هذا الملحظ قادحا في كونها علوما متكاملة، خصوصا عندما نتمسك بمقولة: إن العلوم الإسلامية متحدة المصدر وإن اختلفت مناهجها ونتائجها.

ويعتبر علم السياسة الشرعية واحدا من العلوم الإسلامية القديمة النشأة، والتي تربطها بغيرها من العلوم روابط مشتركة من أهمها ما يرجع إلى قواعدها، خصوصا مع علاقتها بمقاصد الشريعة، وإذا كان كذلك فإليك أيها القارئ بعض القواعد المشتركة بين السياسة الشرعية ومقاصد الشريعة، من ذلك:

أ - قاعدة الأمور بمقاصدها:

هذه القاعدة وإن كانت فقهية في التصنيف والتأليف، إلا أن حقيقتها الذاتية تصنفها على أنها قاعدة مقاصدية امتدت فروعها وتطبيقاتها في معظم العلوم، خصوصا علم القواعد الفقهية وعلم الفقه وعلم السياسة الشرعية، ذلك أننا نجدها على لسان المشتغلين بالسياسة الشرعية عند تناولهم للنوازل في شأن الإمارة وتدبير شؤون الرعية، كما أن الولاية لا تطلب رغبة في الرئاسة والجاه، إنما تطلب لإصلاح أوضاع الرعية المرتبطة بدنياهم وأخراهم، وهو مقصد يقرب صاحبه إلى ربه.

ب - قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

هي في الأصل قاعدة مقاصدية تحدث عنها الشاطبي في الموافقات، وقد وجدت في ثنايا بحوث فقهاء السياسة، حيث يعتمدون عليها وعلى غيرها من قواعد المقاصد في مختلف الترجيحات في شأن قضايا تدبير شؤون الرعية، وفي هذا السياق يقول ابن تيمية: "وعلى أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها وتبطيل المفاسد وتقليلها؛ فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناها هو المشروع".

ج - قاعدة سد ذرائع الفساد:

وهي أصل من أصول الاستدلال عند فقهاء المالكية، وقاعدة من قواعد المقاصد، ولم يكن لفقهاء السياسة إلا العمل على مقتضاها في موازنات مصالح الرعية وحمايتها، فإن ولي أمر الأمة إذا رأى الناس أقبلوا على شيء مباح يمكن أن يفضي إلى إفسادها فسادا كليا أو جزئيا راجحا، فيجب عليه مراعاة مبدأ درء المفاسد وسد أبوابه بأن يمنع الناس من تعاطيه.

ومن هنا يظهر جليا أن السياسة الشرعية تنبني أساسا على قواعد التشريع المتمثلة في طرق الاستنباط وإعمال مقاصد الشريعة، فالسياسة الشرعية إذن جزء من الفقه الإسلامي، فهما متحدان في المنهج مختلفان في النتائج، وإنما كان البحث في السياسة الشرعية يأخذ طابعا مقاصديا أكثر نظرا لتجدد الوقائع والنوازل السياسية واختلاف طبائع الرعية على تعاقب الأزمان واختلاف الأمكنة والبلدان.

ذ. صهيب مصباح

اللغة العربية لغة القرآن الكريم: مباني ومعاني: (22)

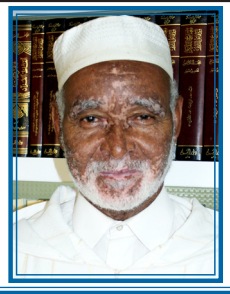

د . الحسين كنوان

مناقشة السؤال المعلق "حـ". وهو من الأسئة الثلاثة المثارة في الحلقة 19 المحجة عدد 429. وقد ناقشنا في الحلقة الماضية 21 المحجة عدد 465 السؤال "ب" وهو: (هل يدرك المتعامل مع النصوص المكتوبة باللغة العربية دلالات كل ما يستعمله من مكونات الكلام أثناء شرح النصوص أو قراءتها). ونعني بمكونات الكلام كل ما يساعد على البيان من حرف أو حركة، أو شكل دون آخر من أبنية الكلمات؟.

وفي سياق مناقشتنا لهذا السؤال، استشهدنا بمجموعتين من الأمثلة لاختبار صلاحيتها، أمثلة مطابقة لمصطلح البنية، واتضح لنا في النهاية أن هذا المصطلح قاصر عن استيعاب أمثلة المجموعتين الممثل بهما؛ لأن كل نوع من هذه الأمثلة ينضوي تحت مفهوم خاص من المفاهيم الكبرى التي تصنف ضمنها الكلمات في اللغة العربية هما: السماع والقياس، وبعد عرض نماذج من النصوص التي تتضمن العبارات والكلمات الموضحة لمعالم هذا المفهوم أو ذاك من بين المفهومين المذكورين خلصنا إلى نتيجة هي: أن المكون الأساس الذي ينبغي اعتماده في تعميم مصطلح البنية على مكونات الكلام في اللغة العربية هو دلالة الحرف في بنية الكلمة. وقد قدمنا أمثلة بهذا الخصوص قسنا عليها لحل الإشكال الذي نحن بصدده. وبهذا نكون قد مثلنا بالفعل لمكونات الكلام التي نعنيها في هذا السؤال "ب".

ونرى أن إعطاء أمثلة مجردة أو ضمن نصوص لهذه المكونات يعتبر إجابة ضمنية عن السؤال الثالث "حـ": هل نستحضر دلالات مكونات الكلام -المشار إليها قبله أثناء تلقين قواعد اللغة العربية للراغبين فيها من المتعلمين، أو بمعنى آخر هل نربط بين دلالة المكون اللغوي في قاعدة ما (أو علامة) وبين وظيفته التي يؤديها في البيان أثناء عملية التلقين؟.

لقد أعدنا كتابة السؤال الثالث قصدا لنربطه مباشرة والذي قبله بما نعنيه من مكونات الكلام.

جرى العرف منذ زمان على أن المقصود بقواعد اللغة العربية هي النحو والتصريف والبلاغة، ونصوص من فقه اللغة أحيانا. وقد تأثرت الدراسات اللغوية العربية حديثا بالدراسات الغربية المستوردة، فصنفت الدراسات اللغوية إلى ثلاثة مستويات أساسية تأثرت في تسمياتها بالمصطلحات المستوردة. أحدث اعتمادها خللا في مصطلحات بعض المفاهيم العربية الأصلية كاستعمالهم مصطلح الأصوات مفصولا عن مصطلح الحرف، والاقتصار على مصطلح التركيب الذي يعتبر حلقة من حلقات تعريف الكلام، فلو تَمّ اعتبار وظائف مكونات الكلام في اللغة العربية لتم تجنب الوقوع في مثل هذه الأخطاء المنهجية في قواعد اللغة العربية. ولهذا السبب وما يشبهه نقدم نماذج من مكونات الكلمات التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار باعتبارها مباني لضبط المعاني من ذلك ما يلي:

1 - **كيفية الكتابة:** ذلك أن ثمة أنواعا من الكلمات تحتمل الكتابة بأكثر من وجه، والأمر المرجح للكتابة بوجه دون سواه هو قصد المتكلم وإرادته؛ لأن كل واحد من بين النّوعين المحْتَمَلَيْن للكلمة الواحدة له دلالته الخاصّة، وتتجلى هذه الظاهرة في بعض أحرف المعاني مثل "ما" و"حيث" و"من" و"لا"...

وفي هذا السياق نقدم ما يسمح به المقام من أمثلة هذه المسألة وهي كما يلي: يقول ابن قتيبة:

«1 – باب "ما" إذا اتصلت:

أ – تقول: "ادع بمَ شئتَ"، و"سَلْ عمّ شئتَ"، و"خذه بمَ شئتَ"، و"كن فيم شئتَ". إذا أردتَ معنى سَل عن أي شيء شئت نقصت الألف. وإن أَرَدْتَ سَلْ عن الذي أَحْبَبْتَ أَتْمَمْتَ الألف فقلتَ: ادع بما بدا لك وسل عما أحببتَ، وخذه بما أردتَ، كل هذا تتمم فيه الألف...

ب – واعلم أن الحرف يتصل بما اتصالا لا يتصل بغيرها، تقول إذا استفهمت: فيم ضربتَ؟ فتنقص الألف، وإذا كان في غير الاستفهام أَتْمَمتَ فتقول: "جئتُ فيما سألتَ" وتقول: "كل ما كان منك حسن" و"إن كل ما تأتيه جميل" فتقطعها لأنها في موضع الاسم، فإذا لم تكن في موضع اسم وصلتها فتقول: "كلما جئتك بَرَرْتَنِي" و"كلما سَأَلْتُكَ أخبرتني".

ح – وتكتب "إنما فعلتُ كذا" و"إنما كلمت أخاك" و"إنما أنا أخوك" فتصل، فإذا كانت في موضع اسم قطعته، فكتَبْتَ: "إنَّ ما عندك أحب إلي" و"إن ما جئت به قبيح".

وقد كتبت في المصحف، وهي اسم، مقطوعة وموصولة، كتبوا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ما توعدون لآتٍ﴾ (الأنعام: 135) مقطوعة. وكتبوا ﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾ (طه: 68) موصولة وكلاهما بمعنى الاسم، وأحب إلي أن تفرق بين الاسم والصلة، بأن تقطع الاسم وتصل الصلة.

د – "مع ما" إذا كانت بمعنى الاسم فهي مقطوعة، وإذا كانت "ما" صلة فهي موصولة...

هـ – وتكتب "أينما" موصولة "كنت فَافْعَلْ كَذَا" كما في قوله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ (النساء: 77) و"نحن نأتيك أينما تكونُ" موصولة؛ لأنها في هذا الموضع صلة وصلت بها "أين" ولأنه قد يحدث باتصالها معنى لم يكن في "أين" قبل، ألا ترى أنك تقول: أين تَكُونَ فترفع، فإذا أدخلت "ما" على "أين" قلت أينما تَكُنْ "نكن" فتجزم؛ لأن "تَكُونُ" في الأول بمعنى "269" الاستفهام، وإذا كانت "ما" في موضع اسم مع "أين" فَصَلْتَ فقلتَ: "أين ما كنت تعدنا؟ أين ما كنت تقول...» (أدب الكاتب 194).

نقف في هذا النص عند هذا المقدار الذي اقتطعناه من أمثلة هذا الباب. وهي أكثر مما ذُكر. وهذا يتضمن أربعة أنواع من أحوال "ما" حين اتصالها بغيرها من أحرف المباني أو المعاني، وكل نوع من هذه الأحوال يحتمل الثنائية في شكل الكتابة، ولكل نوع من الكتابة وظيفته الدلالية الخاصة التي يرشحها قصد المتكلم. والذي يلفت الانتباه في مادة هذا النص أكثر من سواه أمور ثلاثة هي:

أولها: حضور قصد المتكلم في توجيه شكل الكتابة إلى معنى دون سواه، وهذا ما تنص عليه الكلمات والعبارات التالية في رقم "أ". تقول... إذا أَرَدْتَ معنى سَلْ... وإن أَرَدْتَ سَل الذي أَحْبَبتَ... وفي رقم "ب" واعلم أن الحرف الذي يتصل بها... وتقول إذا استفهمتَ فيم ضربتَ؟. ..وفي "ج" فتَصِلُ... قَطَعْتَهُ... وفي "هـ" ألا ترى أنك تقول... فإذا أدخلتَ "ما" على أين فَصَلْتَ فَقُلْتَ...

هكذا يتضح توجيه الكلام إلى المخاطب المفرد وهو متعلم اللغة العربية المفترض. وهذا ما يعني الإجابة عن السؤال الثالث والأخير "ح" الذي هو عنوان هذه الحلقة: "هل نستحضر دلالات مكونات الكلام المشار إليها قبله أثناء تلقين قواعد اللغة العربية للراغبين فيها من المتعلمين؟" ذلك أن المتعلم لا ينبغي أن يلقن القواعد مفصولة عن وظائفها البيانية، وهذا توجه له حضور قوي في مناهج مؤسسي قواعد اللغة العربية مثل سيبويه.

التعليم بين الواقع والمأمول

يجمع المتتبّعون للشّأن التّعليمي في بلادنا على تأزم النّظام التّعليمي وتراجعه سنة بعد سنة، وهذا ما يشهده الواقع وتعبر عنه كل الاحصائيات سواء الوطنية أو الدّولية، ناهيك عن المشاكل التي تتخبط فيها الجهات المسؤولة عنه منذ أمد بعيد، ولم ترس السفينة بعد.

لا شك أنّ أي عاقل، يجزم أن التعليم هو رافعة استراتيجية لنهضة كل بلد، فالدول التي عرفت قفزة حضارية، انطلقت من إصلاح تعليمها أوّلا، وأولت كل ما يتعلق به العناية الكافية، واعتبرته خطا أحمر.

إن المتتبّع لتاريخ "كرونولوجيا" الإصلاحات في مجال التربية والتعليم، يكاد يجزم أن العيب ليس في المشاريع أو البرامج أو غير ذلك من التدابير، ولكن القصور في القدرة على التنزيل والمتابعة والمواكبة من بدايتها إلى نهايتها، وفي استصلاح الأرضية التي يتم عليها الإصلاح، وتهيئة الظروف المناسبة وتنخيل هذه المشاريع حتى تتلاءم مع هويتنا وقيمنا النبيلة من جهة، والاستفادة من كل الانتاجات العالمية دون الذوبان أو السقوط في فخاخ الآخر والسير في ركبه دون تفكير، أو تقدير للعواقب من جهة أخرى. وفي هذا الاتجاه أعجبني كلام للدكتور محمد إقبال رحمه الله في معرض حديثه عن دراسته في الغرب: "التقطت الحبّ دون أن أقع في الفخ". وهذا ينسجم مع تقديره للتربية والتعليم وإدراك خطورته، وكونه غير قابل للّف والدوران، خصوصا أننا أمّة "اقرأ"، فهي مفتاح كل شيء والسبيل إلى أي تقدم، شرط أن تكون قراءة قاصدة، تركّز على بناء الإنسان بشموليته روحا وعقلا وجسدا، وإعداده للمساهمة في تقدّم بلده أولا وفي البناء الحضاري للأمة ثانيا. وإنّ أيّ تفريط أو إفراط من شأنه أن يعصف به وبالمجتمع كله.

لا يخفى علينا أن ثقافة المشاريع المستعجلة والإصلاحات العابرة لا يمكنها أن تجدي في غياب أسس متينة وتصور واضح لهذا المجال، يستوعبه الجميع، وينخرط فيه بقوة الإرادة والإيمان.

إن تدهور التعليم في بلادنا يرجع إلى ما يلي:

- جلّ الإصلاحات التي مرت تركز على الوسائل والأشكال أكثر من المقاصد والغايات، وتأتي بالشكل والمبنى وتغفل أو تتغافل الجوهر والمعنى.
- عملية استيراد المناهج ومحاولة تطبيقها دون تبيئتها برهنت على فشلها كل مرة. ورغم ذلك ما زلنا نكرّر هذه الأخطاء، ولا يفهم من هذا إلاّ الولع بتقليد الآخر حتى وإن لم تدع الضرورة، وهذا لا أعني به العزوف عما للآخر، فالحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها، ولكن ما أقصده هو حسن التنزيل ومراعاة الخصوصيات الذاتية والحضارية للأمة.
- عدم تسويق المشاريع الإصلاحية تسويقا جيدا باعتبار التربية والتعليم مشروع أمة يهم الجميع، ويتم التعامل معها ببرودة وفتور، تبدأ من أعلى الهرم حتى تصل أسفله.
- أزمة تدبير إداري على مختلف المستويات تتبدد معه الجهود وتضيع معه الأموال وتستنزف الطاقات.
- أزمة إنسان تتمثل في عدم أخذ المسؤولية بجد والأمانة بقوة، وتبلد حس الانتماء إلى مؤسسات التغيير، وهذا لا يعني أنه ليس هناك منخرطون في أوراش الإصلاح بجد، فالواقع يشهد على وجود مخلصين يصلون النهار بالليل ولا يألون جهدا في سبيل الرقي بهذا البلد.
- إعطاء قيمة كبيرة للمدرسة الخصوصية على حساب المدرسة العمومية، ولد نوعا من اللامبالاة عند الناس بها، ما دام هناك منفذ وهو المدرسة الخصوصية، ولا نستغرب أن الفئات الفقيرة في المجتمع أصبحت تسجل أبناءها بالمدرسة الخصوصية، وتحاول جاهدة أن توفر المصاريف المتعلقة بذلك. في حين نجد بلدانا أخرى تولي المدرسة العمومية اهتماما مصيريا، أما المدرسة الخصوصية فتبقى استثناء.
- ظاهرة الساعات الإضافية التي أتعبت الجيوب وفرضت على الآباء والأمهات رغم أنوفهم. والذي ساهم في اتساعها إكراهات المدرسة الخصوصية التي تحتم على الأساتذة مداخيل أخرى لتدريس أبنائهم فيها.
- آفة النخبوية وتكريس ثقافة الفئوية وتوريث النفوذ والمستوى الاجتماعي والثقافي، أدى إلى تسجيل أبناء هذه الطبقة في مدارس ومعاهد كبرى، وحتى لا نغرد خارج السرب، فأغلب هذه الفئات هي التي تمسك بزمام الأمور في البلد، وبالتالي هي لا تستشعر جيدا مرارة معاناة الفئات الأخرى -مع وجود الاستثناء طبعا-.
- بالإضافة إلى ظروف العمل المادية والمعنوية التي تساهم بقدر كبير في تأزم الوضع.

وأمام هذه الحقائق، لابد أن يتعاون الجميع في سبيل النهوض بالتعليم ببلادنا حتى نؤسس لحضارة نسعد بها، وتسعد بها الأجيال القادمة باذلين كل ما في وسعنا ومبتعدين عن كل الخلافات والنزاعات، التي تهدم ولا تبني وتؤخر ولا تقدّم، فهذا القطاع لا يتحمل ذلك.

عبد الخالق العواد

من أوراق شاهدة

"أنا لا أخشى أن أكون لوحدي إذا كان الله معي"

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

"آن لهذا القيد أن ينكسر"، هكذا هي اللازمة التي غدت تؤثث أدمغة ووجدان شباب العالم العربي، ولأجلها سرت العدوى بشكل عشوائي في كل بقاع العالم العربي وانخرط فيها الشباب. وهي هبة ظاهرها التغيير والخروج من شرنقة المظالم وباطنها العذاب، إذ لا يسفر سقوط الظالمين إلا عن الأظلم منهم والأشرس.

وبالنظر إلى تجليات هذه اللازمة إبان القرن المنصرم يبدو الفرق شاسعا إذ أن الانتفاضات الشعبية كانت تُؤَطَّر بأدبيات ثورية تعتبر بمثابة المحاضن التي يتعلم في مدارسها وحلقاتها التلاميذ والشباب الغاضبون أبجديات الهبات الثورية وكانت الحلقات تعقد لقراءة الكتب والمنشورات الفكرية لمنظري الثورات وهم في أغلبهم فلاسفة وقامات فكرية معروفة، وكانت اللقاءات مناسبة لتداول آخر الكتب والأشعار والبيانات الثورية التي تتخلق ببلاد الغرب، حيث يستنسخ الشباب الغربي تجارب الثوريين خاصة منهم ثوار أمريكا اللاتينية، وطبعا كان الشباب العربي بدوره يعب من هذه الرياح الثورية العابرة للقارات كتبا وأنشطة محظورة، وكان الواحد من أولئك الثوريين إذا أخذ الكلمة بمجمع خطابي ما، أجج المشاعر وألهب الحناجر ليتسلم المستمعون راية الانتفاض ويدكون جدارات الطغيان الأكثر تمنعا.. وكانت الولاءات في نضجها واضحة لا تخضع لانتهازية ظرفيه بل هي الثورة حتى النصر، كما كانوا ينظرون لها بخلفيتها الثقافية الغنية بأمهات الكتب والتجارب النضالية المعادية للاستبداد والجشع الرأسمالي طبعا بصبغتها المعادية للدين..

والشاهد عندنا أن تاريخ تلك الحركات على علاته لم يشهد انبثاق جيل هجين تغلب عليه "البلطجية" الذين يقودون ثورات اغتصاب النساء والقتل للأبرياء العزل نظير هِبَات مالية وامتيازات..

لقد كان كثير منهم رواد مدارس راسخة اليقين بعدالة قضية اصطفافهم وراء المستضعفين.

وإذا كان هذا شأن الهبات في شقها الغربي كما آمنت بها شبيبة البلدان العربية ونضحت من حراكها وتدافعها خزائن أدبية ضمت مختلف الأجناس الأدبية الثورية شعرا ورواية ومسرحا وسميت بالأدب الملتزم فإن ذهنية العدل والرفض لقيم الظلم عرفت في العالم العربي تجليات أنصع وأظهر وأصدق باعتبارها تمتح من الأصول الدينية قرآنا وسنة. وشهد العالم الإسلامي انتفاضات مباركة قادها علماء مسلمون تولوا فيها تأطير أرضية الرفض الشعبي فكانت محنهم أليمة قاسية لكنها رصعت هامة الأمة بتيجان من مؤلفات ومواقف بطولية خارقة في مواجهة الظالمين.. وعلى سبيل الذكر فإن قصة الإمام التابعي سعيد بن جبير مع والي بني أمية الحجاج تكاد تبقى بلا نظير، إذ عارض سعيد مظالم الحجاج وسطوته وكانت له -قبل تصفيته- مع الحجاج مقابلة عجيبة أصر فيها سعيد على قول الحق وعدم الخضوع للحجاج. وتروي كتب التاريخ أن الحجاج لم يلبث بعد قتله لسعيد إلا قليلا حيث ظل يتجرع آلام بثرة موجعة كان يخور معها كالثور الهائج ومصحوبة بكوابيس كان يصحو على إثرها وهو يصيح: مالي وسعيد مالي وسعيد إلى أن مات.

ثم هذا السعيد الثاني الإمام العالم سعيد بن المسيب سيد التابعين يسجن ويهان بل ويجلد مرارا ويعرض على الملأ في ثياب مهينة ويمنع من الاتصال بالناس وتعليمهم لا لشيء إلا لأنه رفض جبروت بني أمية... ولا يسع المقام على فداحة الظلم التي لحقت ثلة من العلماء كالإمام مالك والإمام أبي حنيفة، والإمام ابن حنبل وسلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمهم الله تعالى جميعا، للتفصيل فيه فقط يبقى الشاهد عندنا كما أسلفنا هو طبيعة هذه الانتفاضات النظيفة الواعية الراشدة التي حركت دائما مؤيدي الأئمة والعلماء.

وبعرض هذا التاريخ المَوَّار بالاحتجاج بين الشرق والغرب تطالعنا الموجة الجديدة لهذا الزحف الشبابي، المطالب كما بالأمس بالعدالة عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومن خلال انتفاضات الميادين، حيث تتخلق في العالم العربي خاصة، حركات راديكالية ضحلة المستوى الفكري والسياسي يقودها سطحا غلمان مهووسون بقلب الأوضاع كلها حتى الصالح منها ومشغولون بتنزيل خرائط تشتيت بلدانهم دون وعي منهم باشتغالهم لفائدة أجندات معادية للأمة الإسلامية.. والمخيف في البعض من هذه التحركات الشبابية هو استباحتها لمقدسات الأمة وقيمها الأخلاقية العريقة ووضعها لصفحات ومواقع تمس فيها أعراض وتلفق فيها تهم وتحبك سيناريوهات وتنشر تسجيلات تورط الكل وتخون الكل.

ويظل السؤال الحائر مرابطا: أما آن لهذا التيه الشبابي أن يجد له مرساه الفطرية الإصلاحية بين علماء وشيوخ ومربي الأمة من الصادقين؟؟

هذا الأسبوع شدتني مجموعة غنائية أمريكية مسلمة لشباب ينشدون ما يسمى بأغنية الراب الدينية حيث زاوجوا بذكاء بين الأغنية الشبابية الجديدة والكلمات الملتزمة بقضايا المسلمين كالحجاب والحرية والإرهاب ووضعية المسلمين إزاء واقع الكراهية والإسلاموفوبيا المحاصرة لمسلمي الغرب كان عنوان إحدى أغنياتهم (أنا لا أخشى أن أكون لوحدي إذا كان الله معي)، وهو العنوان الذي يجب أن يصنع الفرق بين ثورات هوجاء وهبات إصلاحية ربانية راشدة.

هذه الفرقة التي تدعى "نتيف دين" ومبادرات فنية وثقافية موازية من شأنها جذب الشباب إلى دائرة الإسلام وسحب المبادرة من المراهنين على دك حصون البناء الإسلامي وعلى رأسها المرأة والشباب، فهل نحن منتبهون؟؟.

الخبيئة من العمل الصالح

دة. رجاء عبيد

ما أحوجنا إلى أعمال صالحة يقبلها الله تعالى منا فيستلمها بيمينه سبحانه، ويربيها لنا كما يربي أحدنا فلوه أو فصيله، فيجدها أحدنا في ميزان حسناته كجبل أحد، ويحظى بها من ربه بالقبول، ويصطف بها في زمرة المخلصين. وتكون له في الدنيا معينات على الثبات والقرب، ودوام للمعية وللحفظ، وفي الآخرة تمتد لها ظلال تقيه حر شمس الحشر في يوم لا ظل فيه إلا ظله سبحانه.

لذلك على "من عرف شرف الوجود أن يحصل أفضل الموجود، فهذا العمر موسم، والتجارات تختلف، والعامة تقول: عليكم بما خف حمله وكثر ثمنه، فينبغي للمستيقظ أن لا يطلب إلا الأنفس"(1).

والأنفس ما قبله المولى فثقلت به الموازين يوم القيامة، وقد دلنا النبي ﷺ على ماهيته في أحاديث كثيرة منها حديث الزبير بن العوام وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال صلى الله عليه وسلم: "من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل"(2).

ومعنى قوله: "خبء من عمل صالح" أي: من أعمال السر الخفية الخالصة لله ﷻ، الخالية من الرياء، فالله سبحانه لا يقبل من العمل إلا أخلصه وأقومه، ولا يعين على الإخلاص إلا الحرص على كتم العمل، "ونسيان الخلق بدوام رؤية الخالق"، فذلك دليل صدق المؤمن، وعلامة محبته لمولاه.

وما أكثر من يعمل العمل ويحب أن يظهره للناس لطغيان حظ نفسه عليه، ولحب مدحهم وثنائهم عليه وكان سفيان الثوري يقول: "لا أعتد بما ظهر من عملي... فاعلم أن ترك النظر إلى الخلق، ومحو الجاه من قلوبهم بالتعامل وإخلاص القصد، وستر الحال هو الذي رفع من رفع"(3).

ولا يحرص على فعل الخبيئة من العمل الصالح إلا من عمل على تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين وجرده من حظ النفس في حب الظهور والثناء، وصرفه متقربا به لله وحده، يرجو به ثوابه ويطمع في رضاه، ويخشى عقابه. فهو بذلك من العباد المخلصين الذين لا سلطان للشيطان عليهم، قال تعالى: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ (ص: 82-83).

ومن أعظم خبيئة صلاح السريرة، فلا "تظن أن العلانية هي أنجح من السريرة، فإن مثل العلانية مع السريرة، كمثل ورق الشجر مع عرقها، العلانية ورقها، والسريرة عرقها، فإن نخر العرق هلكت الشجرة كلها، ورقها وعودها، وإن صلحت صلحت الشجرة كلها ثمرها وورقها، فلا يزال ما ظهر من الشجرة بخير ما كان عرقها مستخفيا، لا يرى منه شيء، كذلك الدين لايزال صالحا ما كان له سريرة صالحة"(4)، ولا ينفع مع فساد السريرة صلاح الظاهر، فالحق سبحانه يتوعد في محكم التنزيل بكشف السرائر في قوله: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ (الطارق: 9).

لذلك حث رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه على تطهير السر وذلك بالتنبيه على سلامة القلوب التي هي موضع نظر الباري ﷻ حيث قال: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم وصوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»(5).

وفي قوله ﷺ «من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل" دعوة إلى العبد أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش، فإنه لا دواء في الرياء كمثل إخفاء الأعمال، وذلك يشق في بداية المجاهدة فإن صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله، وأمده الله بالعون، فعلى العبد المجاهدة، ومن الله التوفيق»(6).

وللخبيئة من العمل الصالح جزاء تكشفه آيات وأحاديث كثيرة:

ففي الصلاة، قول النبي ﷺ: «تطوع الرجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس، كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده»(7). وقوله أيضا: «صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا وعشرين»(8).

وفي الدعاء: يقول تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ (الأعراف: 55)، فدعوة في السر أفضل من سبعين في العلانية، وإذا عمل العبد في العلانية عملا حسنا وعمل في السر مثله قال الله لملائكته: "هذا عبدي حقا".

وفي الصدقة: قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... وذكر منهم.. ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(9).

وقوله: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»(10).

وفي الذكر: ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" وفي الحديث القدسي: "عبدي... إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكبر"(11).

فلما علم الصالحون فضل الخبيئة من العمل الصالح حرصوا على كسبها بقلوبهم وأعمالهم وحجبها عن حظوظ النفس وملاحظة الخلق. فهذا محمد بن واسع يقول: لقد أدركت رجالا كان الرجل يكون مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالا يقوم أحدهم فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي بجانبه.

فجعلنا الله ممن اهتدى بإرشاد النبي الكريم، وكانت له خبيئة من عمل صالح تنفعه يوم تبلى السرائر.

---

1 - صيد الخاطر. ابن الجوزي.ص:228
2 - الصحيح الجامع رقم 6018
3 - صيد الخاطر. ابن الجوزي.ص:197
4 - نفسه286
5 - أخرجه مسلم، حديث 33
6 - مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة ص:242
7 - صحيح الجامع رواه ابن شيبة عن رجل رقم2953
8 - صحيح الجامع، رواه ابن عدي عن صهيب رقم3821
9 - فتح الباري،، ج2 رواه أبو هريرة رقم6
10 - صحيح الجامع، رقم3759
11 - صحيح الجامع، رقم4324

وَمضة

"موضة"!

سلمت عليه خطيبة ابنه...
فغر فاه وهو يحدق فيها..
مسح دمعه وحوقل...
"قد يكون غير موافق!" تهامس أبناؤه...
حدق فيها ثانية... انهار باكيا أمام نظرات الاستغراب...
سحب من جيبه نقودا، وغمغم:
- "اشتروا لها ملابس جديدة حالا!"
نظرت إليه زوجه معاتبة:
- يا رجل...!
غمغم باكيا وهو يحدّق فيها:
- قطّعتْ قلبي!
- لماذا؟!
- إنها ترتدي سروال" جينز" كله ممزق، يبرز ركبتيْها ولحمها...!
- إنها" الموضة"!
عقب الأب الطيب:
- ترتدي ملابس رثة ممزقة لأنها يتيمة.. مسكينة.. لم تجد أبا يكسوها ويرعاها!

ذة. نبيلة عزوزي

د. عبد المجيد بنمسعود

لسان فكرة

الثقافة والدين

يظل أمر تحديد الموقف من كل من الدين والثقافة في المجتمع الإسلامي أمرا حاسما على مستوى رسم طريق السير وصياغة نموذج الحياة، أو نمط الحضارة الذي يتميز به ذلك المجتمع عن غيره من المجتمعات.

وليس يكفي على سبيل المثال إعلان التحيز الإيجابي لدين الإسلام في المسألة، أو مجرد التحديد النظري الذي يتم التصريح به على مستوى النخب الفكرية المؤمنة بهذا الدين، التي لا تذخر وسعها -مأجورة- في رفع عقيرتها بالقيم والحقائق والتصورات التي يتأسس عليها ويتقوم بها كيانه، وإنما لا بد أن تتوفر جميع الشروط ليتحول ذلك إلى واقع مشخص ينبض بالحركة والحياة، ويلمسه الناس على اختلاف شرائحهم ومستوياتهم في كل جزئية من جزئيات حياتهم، حتى يمتزج بكيانهم، ويشكل علامة مميزة تكشف عن نفسها بكل صدق وصفاء، ويعلمها القريب والبعيد على حد سواء. وإن ذلك لعمري هو رأس الأمر وجوهر المسألة فيما بين مفهوم الدين ومفهوم الثقافة من الاتصال، فإذا كان مفهوم الدين هو الدينونة لله الخالق الرازق، رب الأرض والسماء وكل ما فيهما من الخلائق، وإفراده ﷻ بالعبودية، وتحقيق الخضوع والحب له سبحانه وتعالى، فإن الثقافة، في علاقتها بالدين، تمثل ما جاء به الدين من شرائع وقيم وأحكام، على أساس الاعتقاد الجازم بصحته وكماله، مأخوذا فهمه من أهل الذكر الراسخين في العلم مصداقا لقول الله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل: 43)، ثم المضي به قدما في خضم الواقع لصياغته وبنائه على هدى من الله، لبنة لبنة، بناء يستلهم زاده القوي وشحناته الخلاقة من خلق التقوى واستحضار مراقبة من ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء﴾ (سبأ: 3)، و﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ (غافر: 19)، ثم استفراغ الوسع في حمايته من كل المشوشات والمنغصات على اختلاف أنواعها، بل والوقوف بصلابة واعتزاز في وجه التحديات التي تستهدف عرقلة وصول الخير للناس أو إيقاف نور رحمته وإطفاء شعلتها.

معنى ذلك أن شرط التطابق بين القول والفعل، وبين النظر والسلوك على صعيد الفرد والجماعة والنظام العام، هو الذي ينبغي أن يشكل سمة المجتمع المسلم، حتى يكون في مأمن من مقت الله ﷻ وغضبه، الذي نجد تحذيرا رهيبا منه من رب العزة والجلال في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف: 2-3). إن الفصام بين الأقوال والأفعال من شأنه أن يحول الدين في حياة المسلمين إلى مجرد شعار للزينة أو التقية، أو في أحسن الأحوال إلى عنوان للضعف والهزيمة والخذلان.

إن تحول الدين إلى ثقافة تجري في كيان المجتمع مجرى الدم، أو إلى روح تسري في ذلك الكيان، بتعبير القرآن، هو الذي عبر عنه بجلاء، مالك بن نبي رحمه الله في تعريفه للثقافة بكونها: "مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه" (مشكلة الثقافة، ص: 102). وبناء عليه، فإن الولاء الصادق للدين يقضي ويحتم على كل من يزعم ذلك الولاء، توفير كل الشروط لتحقيق عملية التمثل والتحويل، من خلال تسخير جميع الوسائل والقنوات لحمل هذه الرسالة الحضارية الكبرى، وإلا فإن أي تقاعس عن ذلك سوف يبقي على الفصام النكد شاهدا على أكبر جريمة ترتكب ليس في حق المسلمين فقط، ولكن في حق الإنسانية جمعاء، التي تحتاج إلى رؤية الإسلام في كيان مشخص جميل يجذب إليه جموع الحائرين، ويمثل لهم موئلا للاطمئنان ونجاة من التيه والحرمان، والعذاب والاضمحلال.

لقد أدرك هذه الحقيقة الوجودية والتربوية العميقة المفكر الكبير محمد أسد رحمه الله وعرضها بقدر كبير من العمق والبيان في كتابه القيم: "الإسلام على مفترق الطرق"، ومما قاله في ذلك: "إن الإسلام ليس اعتقادا بالجنان فقط، ولكنه فوق ذلك منهاج ظاهر الحدود تمام الظهور للحياة الفردية والاجتماعية. ويمكن أن يهدم الإسلام باتخاذ المسلمين ثقافة أجنبية تختلف عنه اختلافا جوهريا في أسسها الأخلاقية، وكذلك يمكن أن ينتعش حالما يرجع به إلى الحقيقة الخاصة به، وتنسب إليه قيمة هي العنصر الذي يقرر ثم يؤلف كياننا الفردي والاجتماعي في جميع نواحيه". (ص: 85).

لقد بات أمر تحرير الواقع والوجدان في عالم المسلمين مسألة حياة أو موت، فإما أن نكون أو لا نكون. وإن استمراء الغوص حتى الأذقان في حمأة ثقافة مضادة لحقيقة الدين، لهو دليل تبلد وإخلاد إلى الطين، ودليل غيبوبة فردية وجماعية عن فحوى الرسالة والأمانة.

لقد بات أمر تحرير الواقع والوجدان في عالم المسلمين مسألة حياة أو موت ، فإما أن نكون أو لا نكون . وإن استمراء الغوص حتى الأذقان في حمأة ثقافة مضادة لحقيقة الدين ، لهو دليل تبلد وإخلاد إلى الطين ، ودليل غيبوبة فردية وجماعية عن فحوى الرسالة والأمانة .

ذ: عبد القادر لوكيلي

فراسة علماء المسلمين

مجرد رأي

...للعلماء مكانة عظيمة ودرجة رفيعة في ديننا الحنيف ويكفيهم فخرا أن الله تعالى مجدهم وأعلى من شأنهم في كتابه العزيز وجعلهم أكثر الناس خشية له سبحانه وتعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وهو نفس المعنى الذي قصده أحد الصالحين من السلف رضي الله عنهم أجمعين في قوله "من كان لله أعرف كان لله أخوف". وكلما ازداد العالم قربا من الله كلما ازداد علما وتوهجا و تبصرا و فراسة ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾. وكلما تقرب العالم من الله، كلما قربه الله منه ورقاه في درجات الإيمان الى الإحسان حتى إنه يصبح عابدا لله كأنه يراه ...فيستنير عقله و جميع حواسه بنور الله... ولعل ذلك احد معاني الحديث الصحيح الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله»...

وأما الامثلة عن هؤلاء العلماء الذين نور الله بصائرهم وفتح عليهم من فيض نعمه وعلمه الواسع، فأكثر من أن تحصى أو تحد... فيكفي ذكر بعضها لضيق مساحة المقال.

1 - الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: وهبه الله ذاكرة قوية وقدرة على الحفظ عظيمة حتى أنه كان ينظر للصفحة من الكتاب لبضع ثوان فتنطبع في ذاكرته فيحفظها كلها، وهكذا حتى يتم حفظ الكتاب كله... وكان مع هذا يرى رسول الله في منامه كثيرا ... فمرت به فترة من الزمن لم يتمكن من الحفظ كعادته ولم يعد يرى رسول الله في منامه، فحزن لذلك حزنا شديدا فذهب إلى شيخه "وكيع" يشكو له ما ألم به، فيصف الامام الشافعي ذاك شعرا فيقول:

شكوت لوكيع سوء حفظي
فأشار علي بترك المعاصي
و أخبرني بأن علم الله نور
ونور الله لا يعطى لعاصي

2 - الإمام البخاري رحمه الله تعالى: ذهب إلى بغداد فعقد له علماؤها ومحدثوها امتحانا في غاية الصعوبة والتعقيد في إطار ما كان يعرف ب(امتحان المحدث) لاختبار سلامة حفظه وضبطه لحديث رسول الله ﷺ... فجاؤوا له بعشر من أمهر المحدثين، كل واحد منهم يقوم فيروي عشرة أحاديث مقلوبة السند والمتن وهكذا حتى قاموا جميعا... كل ذلك والإمام البخاري يجيب بنفس الجواب عند كل حديث "لا أعرفه"... حتى أخذ بعض العوام من الحاضرين يتندر ويسخر من (جهل) الإمام وهو الذي ملأت شهرته في الحديث كل الآفاق... أما المحدثون والعلماء فقالوا: "فطن الرجل"... فلما فرغ جميع المحدثون من رواية ما معهم من أحاديث مقلوبة السند و المتن، قام الإمام البخاري فأخذ يروي جميع الأحاديث التي رويت كما رويت مقلوبة ثم يصححها بعد ذلك بربط السند بمتنه الصحيح وهكذا حتى أتم رواية المئة حديث كلها... لم يكن الإمام البخاري يحفظ الصواب فقط وإنما كان يحفظ حتى الخطأ أيضا، فكان رحمه الله تعالى يعيد عليهم الأسانيد الخاطئة كما رووها ثم يصححها ويلحقها بمتونها الصحيحة... فما غادر مجلسه حتى اعترف له جميع علماء ومحدثي بغداد بغزارة علمه وضبطه الدقيق في رواية حديث رسول الله ﷺ.

(يتبع)

بنبض القلب

لبنان ولعنة الطائفية

ذ: أحمد الأشهب

وأخيرا وبعد أزيد من سنتين ينتخب البرلمان اللبناني رئيسا للبلاد، وسط جو غير مستقر، أضفته أحداث داخلية وأخرى خارجية، متمثلة في الوضع السوري المجاور، وتورط شيعة لبنان المتمثلة في حزب الله في ما يقع في هذا البلد الجريح... غير أن ما يجري في لبنان يقع في جزء كبير منه على الوضع السياسي اللبناني نفسه القائم على الطائفية والمحاصصة، حيث ينص الدستور اللبناني على أن يكون رئيس الدولة مسيحي ماروني، ورئيس الوزراء مسلم سني، ورئيس البرلمان مسلم شيعي، فيما يتم توزيع باقي الحقائب على نفس الشاكلة، ومن شأن هذا التوزيع أن لا يلتفت للكفاءات والأطر الحاملة لمشاريع تروم إصلاح الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في هذا البلد العربي الصغير، وإغماط حق طوائف أخرى صغيرة، كالأقلية الدرزيةالتي غالبا ما تمثل داخل الحكومة بفرد واحد متمثل في زعيمها وليد خيلاط، والأقلية المسيحية المتمثلة في حزب القوات اللبنانية بقيادة سمير جعجع...

لقد ترك الاستعمار الفرنسي لبنان مشتتا وعلى فوهة بركان، لكون فرنسا كانت السبب الرئيس في هذه البلقنة السياسية، ولدى خروجها من الشام في مطلع الأربعينيات، فصلت لبنان عن باقي الشام لتجعل منه دولة لمسيحيي المنطقة، مع العلم أن قبل ذلك كان المسلمون والمسيحيون يتعايشون في سلام وأمان جنبا إلى جنب، لكن الحمولة الصليبية التي دفعت فرنسا لاجتياح المنطقة، ووقوف الجنرال اللنبي على قبر القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي هاتفا: ها قد عدنا ياصلاح الدين، تحمل في طياتها أكثر من مغزى وأكثر من معنى، فالأحقاد الصليبية لدى فرنسا لم تشبها أكثر من شائبة... غير أن اللبنانيين بكل طوائفهم ووحدة همومهم، واضعين مصلحة لبنان فوق كل اعتبار، قاطعين بذلك الطريق على كل السياسات التخريبية التي تروم تفتيت هذا الجزء من وطننا العربي، وجعله بؤرة توتر دائم لخدمة إسرائيل، العدد الأول لكل العرب مسيحيين ومسلمين، فهل من عاقل؟؟!!

خبراء أفارقة يجتمعون لمناقشة التأثيرات المتعدِّدة الأبعاد للتغيُّر المناخي

شهد الرواق المغربي في مؤتمر "كوب 22"، يوم 2016/11/10 المنصرم، نشاطًا موازيا بمشاركة مجموعة من الخبراء لمناقشة التأثيرات المتعددة الأبعاد للتغير المناخي في القارة الإفريقية، وذلك في إطار التحضير "لإعلان مراكش بشأن تعزيز الاستدامة والاستقرار والأمن بإفريقيا".

وافتتح هذه الندوة، الوزير الأول السنغالي محمد بون عبد الله ديون الذي أشار إلى أن إعلان مراكش الذي سيتم تبنيه خلال ندوة وزارية إفريقية يوم 14 نونبر، من شأنه أن يساعد على معالجة الأسباب الجذرية المتعلقة بالتأثيرات المناخية على الاستدامة والاستقرار والأمن بالقارة.

وأشار إلى ضرورة تظافر الجهود خلال مؤتمر "كوب 22" من أجل تبني إعلان مراكش وبرنامج العمل الخاص بها والعمل من أجل تعزيز قدرة إفريقيا على التحول من وضع الهشاشة أمام التغيرات المناخية إلى التكيف. ويهدف برنامج عمل إعلان مراكش إلى تعزيز استقرار الساكنة المعرضة للهجرة والتطرف بسبب العوامل المناخية من خلال معالجة تدهور المجال البيئي، كما يرمي إلى مواجهة الجماعات الإرهابية من خلال تعزيز الرقابة وتدبير الموارد الطبيعية المتخلى عنها.

حكومة نتنياهو تناقش مشروع قانون لمنع الأذان عبر مكبرات الصوت

ذكرت وسائل إعلام عبرية، يوم الخميس 2016/11/10، أن لجنة وزارية "إسرائيلية" ستناقش الأحد المقبل مشروع قانون يمنع الأذان عبر مكبرات الصوت.

وفي حال موافقة اللجنة الوزارية على المشروع يتم عرضه مباشرة على الكنيست للتصويت عليه.

ويطالب المشروع وفق صحيفة هآرتس، بمنع الأذان عبر مكبرات الصوت، بحجة أن ذلك "يزعج المواطنين الإسرائيليين"، كما يمنح المشروع شرطة الاحتلال الحق في استدعاء مؤذنين للتحقيق معهم، وبدء إجراءات جنائية بحقهم، ومن ثم فرض غرامات مالية عليهم.

لاجئون روهنجيون يتظاهرون في أستراليا ضد الإبادة الجماعية

نظم لاجئون روهنجيون في أستراليا مساء الأربعاء 2016/11/08 تظاهرة سلمية تنديدا بانتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها حكومة ميانمار ضد المسلمين الروهنجيا في ولاية أراكان.

ووفقا لوكالة أنباء أراكان فقد تجمع عشرات من اللاجئين الروهنجيا في مدينة كانبيرا، عاصمة أستراليا بمن فيهم الناشطون في مجال حقوق الإنسان.

وشارك في التظاهرة مسؤولون أستراليون وتحدثوا فيها بمكبرات الصوت. داعين حكومة ميانمار إلى وقف الإبادة الجماعية التي تمارسها ضد المسلمين الروهنجيا وإرجاع الحقوق المدنية التي سلبتها منهم.

أوباما يتعهد "بذل كل ما في وسعه" لمساعدة ترامب على النجاح

قال الرئيس الأميركي باراك أوباما إنه أجرى "محادثات ممتازة" مع الرئيس المنتخب دونالد ترامب الخميس (10 نوفمبر 2016) في البيت الأبيض.

وتعهد أوباما "بذل كل ما في وسعه" لمساعدة ترامب على النجاح ورد الأخير قائلا إنه يتطلع "بفارغ الصبر" إلى العمل مع الرئيس المنتهية ولايته.

واستغرقت المحادثات في المكتب البيضاوي 90 دقيقة.

وتصافح الرجلان بعد حديثهما إلى الصحافيين، لكنهما رفضا الرد على الأسئلة.

61% من السويسريين ضد الاعتراف بالإسلام كدين رسمي

كشف استطلاع للرأي أن طلبا للحصول على الاعتراف بالإسلام كدين رسمي في سويسرا بعيد عن العثور على أغلبية بين المواطنين السويسريين.

الاعتراف بالإسلام في نفس مستوى المسيحية واليهودية في سويسرا ليس ليوم غد. وتشير دراسة من صحيفة "صباح يوم الأحد" وصحيفة "زونتاج تسايتونج": وردا على سؤال عما إذا كان من الحكمة وضع الإسلام في نفس مستوى المسيحية واليهودية في سويسرا، أن أغلبية من 62% من سويسريين يعتقدون أن الإسلام ليس له مكان في سويسرا. 38% من السويسريين يعتقدون العكس. وبالنسبة لـ80% من السويسريين، القيم المسيحية هي جزء من الهوية السويسرية.

وكان رئيس الحزب الاشتراكي كرستيان ليفرا قد دعا في شهر أغسطس لمناقشة موضوعية حول مكانة الإسلام في سويسرا. وقد أوضح قائلا: "علينا أن نفكر فيما إذا كنا نريد أن نعترف بالإسلام كدين رسمي، هذا من شأنه اجتناب ترك تدريب وتمويل الأئمة إلى دوائر أجنبية أو حتى أصولية".

وفي المقابل، ذكر رئيس الحزب الديمقراطي المسيحي جيرهارد فيستر أنه يعارض مثل هذا الاعتراف في الآونة الأخيرة.

وزارة العدل الفرنسية: "حظر الرموز الدينية في العمل غير دستوري"

قالت وزارة العدل الفرنسية إن: "السماح لأصحاب الأعمال بحظر الرموز الدينية في شركتهم على النحو الذي اقترحه الرئيس السابق نيكولا ساركوزي المرشح لابتدائية انتخابات الحزب اليميني، غير دستوري".

واعتبرت الوزارة "أنه من الواضح أن تغيير الدستور في هذا الموضوع هو أمر غير مرغوب فيه".

و"أن القاعدة في الشركة هي الحرية الدينية".

وقدمت وزيرة العمل ميريام الخمري يوم الاثنين 6/ 11/ 2016 إلى الشركاء الاجتماعيين دليلا للواقع الديني كتب في شكل 39 أسئلة وأجوبة.

يهدف هذا الدليل للواقع الديني إلى دعم مديري الموارد البشرية والنقابات في تلبية الطلبات المتزايدة من الموظفين؛ ويحدد المبادئ الأساسية:

- يُمنع سؤال الذي يتقدم للعمل عن دينه.
- يُمنع الموظف عصيان رئيسه بحجة أنه امرأة.
- يُمنع التبشير الديني في الشركة...

ويوضح الدليل ذلك بحالات واقعية.

وأوضحت الوزارة أنه: "ليس دليلا يأتي بقواعد جديدة، ولكنه كتيب يستخدمه الموظف أو مدير الموارد البشرية".

ويعطي قانون العمل لصاحب العمل إمكانية الأخذ بمبدأ الحياد في اللوائح الداخلية لشركته، بما في ذلك الرموز الدينية، إذا كان تشغيل الشركة يبرر ذلك أو إذا كانت ممارسة شعيرة دينية تنتهك حقوق أساسية للموظفين الآخرين.

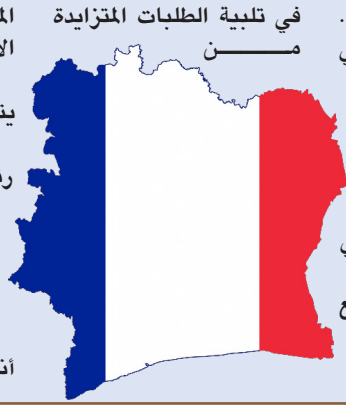

أخبار سريعة

■ **إحياء الذكرى الـ12 لوفاة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات:**

أحيا آلاف الفلسطينيين، الخميس 10 نوفمبر 2016، الذكرى الثانية عشرة لاستشهاد الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، بمهرجان في مقر الرئاسة بمدينة رام الله، بحضور ومشاركة الرئيس محمود عباس، ورئيس الوزراء رامي الحمد الله، وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، واللجنة المركزية لحركة فتح، وآلاف المواطنين.

■ **أردوغان والرئيس البيلاروسي يفتتحان مسجدًا في بيلاروسيا:**

شارك الرئيسان البيلاروسي، ألكسندر لوكاشينكو والتركي، رجب طيب أردوغان في افتتاح جامع مينسك، كما عبر أردوغان عن شكره لنظيره البيلاروسي على تعامله الجيد مع المسلمين.

■ **وفاة الداعية محمد سرور زين العابدين**

توفي يوم الجمعة 2016/11/11 في قطر الداعية السوري محمد سرور بن نايف زين العابدين، وهو يعتبر أحد المرجعيات العلمية أثرا كبيرا في "تيار الصحوة" الذي شهد امتدادا كبيرا في العالم الإسلامي منذ بداية الثمانينيات.

وقد صُلِّي على الشيخ الراحل يوم السبت بعد صلاة العصر، ودفن في مقبرة أبو هامور بالعاصمة القطرية الدوحة.

■ **ياسر الزعاترة عن فوز ترامب: صعود اليمين يهدد السلم الأمريكي**

حذر المحلل السياسي ياسر الزعاترة، من تداعيات فوز المرشح الجمهوري دونالد ترامب بمقعد الرئاسة الأمريكية.

وقال في تغريدة عبر حسابه على موقع التدوين المصغر "تويتر": "الميل نحو اليمين في بلد مثل أمريكا لا يشبه نظيره في أي بلد آخر، هنا دولة قامت على المهاجرين، وصعود اليمين فيها يمثل خطرًا على سلمها الأهلي".

■ **مسؤول إسرائيلي: سنبني آلاف الوحدات الإستيطانية في القدس بعد فوز ترامب**

أعلن مسؤول إسرائيلي، يوم الجمعة 11/ 2016/11، أنه سيتم دفع مخططات لبناء آلاف الوحدات الاستيطانية على الأراضي الفلسطينية في مدينة القدس الشرقية، بعد فوز المرشح الجمهوري دونالد ترامب، في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وقال رئيس اللجنة المحلية للتنظيم والبناء في البلدية الإسرائيلية في القدس، مئير ترجمان، إن "انتصار ترامب، في الانتخابات الأمريكية يشكل ضوءا أخضر للمصادقة على استمرار البناء في القدس".

■ **كيف تعزل سلطات الاحتلال شيخ الأقصى؟**

كشف "مصطفى سهيل" محامي الشيخ الأسير رائد صلاح، رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني المحتل عن انتهاكات واسعة تقوم بها سلطات الاحتلال بحق شيخ الأقصى، عبر عزله في سجن انفرادي ومنع الزيارات عنه وحرمانه الحقوق كافة، مؤكداً أن ما يحدث معه انتقام سياسي وعقاب إضافي.

■ **إلهان عمر.. أول مسلمة محجبة" في الكونغرس الأمريكي**

"إلهان عمر"، الشابة الأمريكية المسلمة، ذات الأصول الصومالية كانت على موعد جديد مع النجاح، يوم الثلاثاء 8 نونبر 2016، عندما فازت بعضوية مجلس نواب ولاية مينيسوتا (وسط غرب) الأمريكية، خلال الانتخابات التي تزامنت مع السباق الرئاسي، لتصبح أول مسلمة "محجبة" تنال عضوية مجلس تشريعي أمريكي، رغم أن عمرها لم يتجاوز الـ34 عاما.

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

نعمة الخوف (2)

الخوف ابتلاء:

ليس الخوف، كما رأينا، وقفا على فئة من الناس دون أخرى، ذلك بأن الخوف طبيعة بشرية، إلا أنّ طبيعة الخوف تختلف من حال إلى حال، ومن قوم إلى قوم، ومن فرد إلى فرد. وقد يجيء الخوف ابتلاء من الله واختبارا لعباده. قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (البقرة: 155). فقد اقترن الخوف هنا بصور أخرى من الابتلاء، وهي الجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، ولكن التعقيب المبين من قوله تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ بيّن عاقبة الابتلاء المقترن بالخوف، وهي البشرى.

الخوف عقاب:

يجيء الخوف في القرآن الكريم صورة من صور العقاب الإلهي، على ما يصنع الإنسان من المآثم، وما يقترف من المعاصي، وهنا أيضا يقترن الخوف بالجوع، كما اقترنا في صورة الابتلاء الإيجابي. قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (النحل: 112).

ويستوقفنا في هذه الآيات أمور، منها أن الجوع هنا جاء متقدما على الخوف، خلافا لما رأيناه في آية البقرة. والجوع نوع من العذاب الشديد، وهو أشد من المسغبة، ولذلك اقترن في القرآن الكريم بالعذاب منذ عهد آدم عليه السلام، خلافا للمسغبة. وقد قال تعالى مخاطبا آدم في الجنة: ﴿فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إنّ لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾ (طه: 117 - 118).

وتقدم الجوع على الخوف قد يدل على أن الجوع قد يكون هو نفسه من أسباب الخوف. أي الخوف إن طال الجوع أن يؤدي إلى الهلاك.

ثم جاء التعبير استعاريا، بجعل الجوع والخوف لباسا، كناية عن الملازمة واللزوق، وجاءت صورة لباس الجوع والخوف مقابلة لصورة الأمن والاطمئنان والرزق الرغد. فهناك تضاد بين الحالين، بين هناك تلازم بين الجوع والخوف، كما أن هناك تلازما بين الأمن والاطمئنان، ولذلك كان من صور المنّ التي منّ الله تعالى بها على قريش الطعام والأمن. قال تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش: 4). ومما يستفاد من هذه الآية الكريمة أنّ الأمن الغذائي من أهم صور الأمن الذي ينبغي أن تعنى به الأمم والشعوب من أجل تحقيق الأمن العام. وأن الشعوب إذا مست في قوتها ومعاشها فإنها تغضب وتثور؛ لأن الأمن الغذائي شرط من شروط الحياة. وهو مقدم على العبادة نفسها، إذ البطون الطاوية تتعطل مداركها، وتتقزم أشواقها وتتضاءل، فلا تنصرف هممها إلا إلى كسرة خبز، وجرعة ماء، وتتوارى عندها عوامل الإبداع، وتضعف طاقة الإنجاز، فيفوت على الأمة كثير من الخير. ولذلك لا يجوز أن تطالب فئة من الناس بواجب ما وقد اهتضمت حقوقها. والله تعالى طالب قريشا بالعبادة جزاء ما وفر لها من سبل الحياة الكريمة المتمثلة في الإطعام من الجوع والأمن من الخوف. ولذلك أيضا جعل الله تعالى الحض على طعام المسكين من أهمّ صور العبادة وأركانها التي إذا تعطلت يوشك معطلها أن ينزلق إلى مهاوي الكفر والتكذيب بالدين، حيث قال تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ (الماعون: 1-3). فليس الإيمان وقفا على ركيعات يختلسها المرء اختلاسا، وحوله الأفواه الفاغرة الفارغة من الطعام، والبطون الطاوية الجائعة. ولذلك دعا الأدباء والمصلحون إلى ما يصلح أمور الناس، وجعلوا من ذلك توفير الغذاء للناس جميعا، ورفعوا شعار: "الطعام لكل فم".

ومما يستفاد أيضا من الآية الكريمة أن تلك القرية التي ضربها الله لنا مثلا إنما يجب أن ينظر إليها لا على أنها حادثة وقعت في التاريخ وطواها الزمن، بل هي حابة قابلة للتجدد كلما تجددت الشروط، وبينت الآية أن من أسباب نزول العذاب الكفر، وفي ذلك تحذير من الكفر. وليس الكفر هنا الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقط، فذلك كله قد لا يمسه الإنسان، وينطق لسانه بالإيمان، ومع ذلك يتعرض للعقاب إن وقع في النوع الآخر من الكفر، وهو كفر خفي قد يغفل عنه كثير الناس، وهو جحود النعم. يقال: كفر النعمة جحدها. وكانت لي عنده يد فكفرها، أي أنكرها. وليس معنى الكفر والجحود والإنكار أن ينكر النعمة بلسانه، بل معناه أن يعطل شكر النعمة. فمن لم يشكر نعم الله تعالى تعرض لزوالها. والشكر أيضا ليس مجرد كلمات يقولها دون تدبر، أو يرددها من باب العادة، وذلك في الناس كثير، ولكن الجحود هو عدم أداء حق النعمة، ومن حقها أن تصرف فيما يرضي الله ﷻ، وأن يؤدى ما فيها من حقوق الضعفاء والمساكين، وألا يتحول أصحابها إلى سفهاء، يرددون قولة قارون: ﴿قال إنما أوتيته على علم﴾. وكم من سفيه في أمتنا، ينفق ما آتاه الله من مال فيما حرم الله، أو يمنع حق الله فيه، أو يقول لسان حاله: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾.

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى.

إلى أن نلتقي

لماذا نحن أمة واحدة؟؟

نحن أمة واحدة لأن الذي يجمعنا أكثر من الذي يفرقنا.

أول شيء يجمعنا هو الدين الذي ندين به، الذي ختم الله تعالى به الرسالات، وأتم به النعمة، جاء رحمةً للعالمين، وهدىً للمتقين؛ فيه كرامةُ ابن آدم ومجدُه، فيه عزُّه وسؤدده، فيه طمأنينتُه وسكينته، فيه أمنُه وسلامته، فيه كل شيء يريده لدنياه وأخراه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: 10)، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: 89).

وثاني شيء هو هذه الحضارة العظيمة التي نشأت بسبب هذا الدين، إذ أنه لما انتشر دين الإسلام في الأرض ودخل فيه الناس أفواجا، نسي هؤلاء الناس انتماءاتهم القبلية والعرقية والقومية، وانصهروا فيه انصهارا تاما، ومن ثَمّ كان لسان حال كل مؤمن يقول: "أنا ابن الإسلام"، وشعاره مع سائر الناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

ومما ينبغي أن يعتز به كل مسلم، بل وكل إنسان أن حضارة الإسلام ليست خاصة بعرق من الأعراق أو جنس من الأجناس، ولكنها حضارة شعوب متعددة اعتنقت الإسلام وآمنت بهديه، فأسهمت وهي مقتنعة وراغبة في أن تترك أثرها في هذه الحضارة حتى تُحمَد في الدنيا وتؤجر في الأخرى.

نعم لقد كان لسان هذه الحضارة -وما زال، وسيظل بإذن الله تعالى- هو اللسان العربي، ولكن لا يعني ذلك أنها حضارة عرقية أو قومية، بل هي حضارة إنسانية عالمية، لا ينعم بها بنو آدم فقط، بل إن فضائلها تعود بالخير والرحمة والبركات على كل الكائنات والبيئات.

ومما هو طريف أن يلتفت ابن خلدون رحمه الله تعالى إلى أثر الشعوب غير العربية في بناء الحضارة الإسلامية، فقال قولا نقله العديد من المؤلفين قديما وحديثا. فقد عقد فصلا في تاريخه بعنوان: "الفصل الثالث والأربعون في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم" ومما جاء في أوله: "من الغريب الواقع أنّ حملة العلم في الملّة الإسلاميّة أكثرهم العجم، لا من العلوم الشّرعيّة ولا من العلوم العقليّة، إلّا في القليل النّادر... مع أنّ الملّة عربيّة وصاحب شريعتها عربيّ".

وبالتأكيد فإن قول ابن خلدون هذا لا ينتقص من قيمة العرب أو العربية، فالعرب هم أحد الشعوب الأساسية المكونة للأمة، وأما العربية -وكما سبق الذكر- فهي لسان هذه الأمة بأسرها، ولسان حضارتها، واللسان المشترك الذي يجب أن يكون بين شعوبها، في التواصل والتعليم وسائر العلوم.

إن هذه "التركيبة" التي قامت عليها الحضارة الإسلامية وسارت عليها، هي مُخرَج القواعد الأساسية للإسلام، ويتضح بعض ذلك من خلال ما يلي:

● أننا لا نجد في القرآن الكريم خطابا للعرب خاصة، وإنما الخطاب فيه لمجموعتين كبيرتين:

- مجموعة بني البشر بأسرهم، باعتبار أنهم أبناء آدم، وآدم خلقه الله تعالى من تراب. وقد جاء خطابهم على ثلاث درجات: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾.

- وضمن المجموعة البشرية هناك مجموعة الذين آمنوا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وهي مجموعة محورية في الخطاب القرآني لأن عليها مدار الأمر.

وأما ما ورد فيه من خطاب لبني إسرائيل وأهل الكتاب، أو الذين كفروا، فله أغراض خاصة بيَّنها المشتغلون بالقرآن الكريم؛ تفسيرا وتدبرا. وهذا الخطاب هو من فرع الخطاب الأول الموجه للمجموعة البشرية وتابع له.

وبين هذا وذاك، هناك نداء لأولي الألباب وللعباد، وكل هذه النداءات أو الخطابات تفيد العموم وليس الخصوص، أي أنها نداء لبني آدم على العموم؛ لأن الجميع عبادٌ لله تعالى طوعا أو كرها، ولأن الجميع مأمورون بالتفكر والتدبر في الوحي: القرآن المسطور، وفي الكون: القرآن المنظور، لأن التدبر النزيه يهدي إلى التأكد من أن هذا الكون وما فيه لم يُخلَق عبثا، بل هو من تدبير عليم حكيم.

● لكن في المقابل نجد إشادة كبيرة بعربية القرآن وبيانه، مع ربط عربية القرآن بالتقوى وضرورة استعمال العقل وتدبره والتفكر فيه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: 2)، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه: 113). إلى غير ذلك من الآيات. مما يعني أن عربية القرآن في علاقتها بعالمية رسالة الإسلام تتضمن سرا من أسرار الإعجاز في الذكر الحكيم، وتميزا في هُوية الحضارة الإسلامية. وقد تجلى بعض ذلك في ما عرفته حضارة الإسلام من تنوع شعوبها في لغاتهم وأعراقهم وألوانهم وثقافاتهم، ومع كل ذلك انصهر الجميع في هُوية واحدة، اسمها الهوية الإسلامية...

لأجل ذلك، وغيره كثير، نحن أمة واحدة.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني